توفيق الحكيم

أهل الكهف

مع أول مقال تحليلى عن الكتاب
للشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر
(الأسبق)

الناشر
مكتبة مصر
٣ ش كامل صدقى ـ الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية) ١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
٤ ــ شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية) ١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية) ١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة) ١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل) ١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

٢٢ ــ شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
٢٣ ــ الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
٢٤ ــ مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٢٥ ــ فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
٢٦ ــ عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
٢٧ ــ أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
٢٨ ــ عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
٢٩ ــ تأملات فى السياسة (فكر) ١٩٥٤
٣٠ ــ الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
٣١ ــ التعادلية (فكر) ١٩٥٥
٣٢ ــ إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
٣٣ ــ الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
٣٤ ــ المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
٣٥ ــ لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
٣٦ ــ أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
٣٧ ــ رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
٣٨ ــ السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
٣٩ ــ يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
٤٠ ــ الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
٤١ ــ رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
٤٢ ــ سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
٤٣ ــ شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتيننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتيننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتيننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتيننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتيننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان — لندن .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِم فى الكهفِ سِنِينَ
عَدَدا ، ثم بَعْثَناهُم لِنَعْلَمَ أى الحِـزْبَيْنِ
أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَدًا ... ﴾

(قرآن كريم)

الفصل الأول

(الكهف بالرقيم .. ظلام لا يتبين فيه غير الأطياف ؛ طيف رجلين قاعدين القرفصاء ، وعلى مقربة منهما كلب باسط ذراعيه بالوصيد)

مشلينيا : **(وهو أحد الرجلين)** يا مرنوش !

مرنوش : استيقظتَ ؟ ماذا تريد منى ؟

مشلينيا : أين أنتَ ؟ أسمعُ صوتَك المتبرمَ ولا أراك . آه ! ظهرى يؤلمنى !

مرنوش : دعنى . أنا أيضاً ضلوعى تُوْجَعنى . كأنما نمتُ عليها عامًا .

مشلينيا : أين الراعى ؟ أين ثالثنا الراعى ؟

مرنوش : أتبيَّن شبحَ كلبه هنا باسطًا ذراعيه .

مشلينيا : ألا تَرَى هذا الراعى يَتجنَّبُ قربنا ، أين هو ؟

مرنوش : لعله بباب الكهفِ يرقبُ طلوعَ النهار ، شأن الرعاة .

مشلينيا : (**يتمطّى**) آه ! ظهرى يؤلمنى ! كم لَبثنا يا مرنوش ؟

مرنوش : أف ! إنك تحرج صدرى بأسئلتك !

مشلينيا : أنا كذلك لو تعلم ضيقُ الصدر مثلك ! مرنوش ، كم لبثنا هاهنا ؟

مرنوش : يوماً أو بعضَ يوم .

مشلينيا : من أدراك ؟

مرنوش : وهل ننام أكثر من هذا القدر ؟

مشلينيا : صدقت (**صمت**) ، (**وفجأة يقول وهو نافد الصبر**) أريد الخروج من هذا المكان .

مرنوش : ويحَكَ ! إلى أين ؟

مشلينيا : أوَ تريدنى على المبيت هنا ليلة أخرى ؟

مرنوش : ليلتين أو ثلاثًا ، حتى نأمن على حياتنا من

دقيانوس .

مشلينيا : (**صائحاً متذمراً**) لا أستطيع ، لا أستطيع .

مونوش : ولِمَ أستطيع أنا ، وأنا وليُّ امرأة وولد أعزهما وأعبدهما ؟

مشلينيا : أنت تستبقى حياتك من أجلهما .

مرنوش : وأنت ؟ ألا تريد أن تستبقى حياتك من أجل ...

مشلينيا : نعم يا مرنوش ، لكن ها أنتَ ذا تَرانى لا أقوى على البعد يومًا واحداً .

مرنوش : مشلينيا ! احذر لنفسك ولنا ! المذبحة لا تزال قائمة فى المدينة ، إنى لن أحتمل نزقكَ بعد اليوم .

(**يبدو شبح يتخبط فى الظلام** ...) .

مشلينيا : من هذا ؟

يمليخا : أنا الراعى يا مولاى .

مشلينيا : تفقدناك الساعة .

يمليخا : قمتُ أتلمس الطريق إلى الباب ، فلم أهتد إليه .

مشلينيا : اقعد بجوارنا . مذ قدتنا إلى هذا الكهف وأنت

صامت ، كأنك لا تأنس بنا !

مرنوش : ما اسْمكَ أيها الراعى ؟

يمليخا : اسمى يمليخا يا مولاى .

مشلينيا : لماذا تدعونا دائماً بِيامولاى ؟

يمليخا : وبماذا أدعو صاحب يمين الملكِ وصاحب يساره .

مرنوش : عجباً !... من أنبأك أننا صاحِبا الملك ؟!

يمليخا : وهل يُجهلُ الوزيران ؟

مشلينيا : أرأيتنا من قبل ؟

يمليخا : كثيراً .

مرنوش : أين ؟

يمليخا : بمدينة طَرسوس ، فى ساحة مصارعة السباع . كنتما تحوطان الملك فى شُرفته ، والأنظار ترمقكم والشفاه تهمس : هذا الملك ، وهذان مشلينيا ومرنوش .

مشلينيا : عرفتنا إذن ساعةَ جئناك نعدو نسألك ملجأً ومخبأً ؟

يمليخا : لم أتبينكما أول الأمر . لكن سمعت أحدكما يقول لصاحبه : « إنهم فى أثرنا يا مرنوش فلنسرع » فنبهنى الاسم من ساعتى ، فتركتُ غنمى ، وجئت بكما إلى كهف الرقيم .

مشلينيا : (**بعد صمت**) ألم نلهك عن غنمك يا يمليخا ؟

يمليخا : لا بأس ، إنها ترعى الكلأ آمنة ، ولا يعلم أحد أنها لمسيحى .

مرنوش : أنت أيضاً كنت تخفى دينكَ ؟

يمليخا : نعم يا مولاى .

مشلينيا : يمليخا ! كلمة « مولاى » تُؤذِى سمعِي ، إنا هنا إخوة ومسيحيون فلا موالىَ ولا عبيد .

مرنوش : هل لك أهل يا يمليخا ؟

يمليخا : ليس لى إلا قِطمير ؟

مشلينيا : من هو قطمير ؟

يمليخا : (**يشير إلى الكلب**) كلبى هذا .

مرنوش : أنت إذن أسعدنا حالا .

(**صمت** ...)

يمليخا : (**فى تردد**) لو أجرؤ على السؤال ...

مشلينيا : سل عما شئت يا يمليخا ، ولا ترهب أمراً .

يمليخا : مذ رأيتكما راكضين هرباً من المذبحة حَدَسْتُ وعَجبتُ ولكن أذهلنى أمر نجاتكما عن كل شىء . وأتينا الكهفَ ، فسكنت إلى نفسى أفكر فى أمركما حتى دهَمنى نوم ثقيل لم أصحُ منه إلا الساعة ، وكأن بأضلعى كسراً ...

مشلينيا : ما الذى حيَّرك من أمرنا ؟

يمليخا : دقيانوس عدوُّ المسيحية ما كان يعلم أن وزيريه مسيحيان !

مرنوش : (**فى اندفاع مقصود**) وهو لا يعلمُ كذلك أن ابنته مسيحية ... هذا الآمر بذبح المسيحيين .

يمليخا : (**فى استغراب**) ابنته ؟ الأميرة بريسكا !؟

مشلينيا : (**فى صيحة عتب ولوم**) مرنوش !

مرنوش : وأى حرج أن أخبر يمليخا بهذا ؟ إلا أن أكون

ذكَّرْتُ قلبك يا مشلينيا ...

يمليخا : معذرةً يا مولاى ! أنا لم أطلب العِلم إلا بأمر واحد : كيف عرف الملك سركما ؟ أمَكيدة ؟ أوِشاية ؟ .

مرنوش : أخبِرْه أنت يا مشلينيا ...

مشلينيا : أريد الخروج منِ هذا المكان .

مرنوش : أيضًا ؟ يا لِمُصيبتى بك !

مشلينيا : قلتُ لك لا أستطيعُ المكث هنا يومًا آخر .

مرنوش : أيها النّزق ! أما كفاك أنكَ أوقَعتنا فيما نحن فيه ؟

مشلينيا : إنكَ حاقد علىَّ !

مرنوش : بل أحمد الله على أن رسالتَك المشئومة لم يكن بها غير اسمينا !

(**مشلينيا لا يجيب**) نعم ... إنها من سوء حظى الرسالة الأولى والأخيرة .

مشلينيا : من سوء حظِّك ... حقيقة .

مرنوش : طالما حذرتك الكتابة إلى بريسكا .

مشلينيا : صَهٍ !

مرنوش : لكنك هذه المرة قد ذهب رشدُك دفعة واحدة ... فكتبتَ ثم دفعتَ الرسالة إلى وصيفةٍ غَيرَى تضمر لكما الشرّ ... ألا تذكر أنى نبهتك يومًا إليها وقد لحظتُ منها أشياء . أو لم تجد رسولاً سوى هذه المرأة ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) يالقلة الحذر ! أو لم تخبرنى أنك قبل الرسالة المشئومة بقليل أهديت إلى بريسكا يداً بيد صليباً صغيراً من الذهب استصنعته لها ؟... فماذا عليك لو أنك أعطيتها الرسالة كذلك يداً بيد ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) ولكنك تزعمُ أنك لم تستطع ، فلقد كتبتها بعدئذ على عجل ... نعم ، كى تخبرها أنك ذاهب بصحبة مرنوش تصلى سراً صلاة الفِصح وتذكرها فى الصلاة ! (**مشلينيا لا يجيب**) بصحبة مرنوش !!

مشلينيا : نعم كلمة لو لم أخطّها ...

مرنوش : لكنتُ نجوتُ بجلدى .

مشلينيا : أجل كنتَ نجوت بجلدك .

مرنوش : ولما كنتُ خسرتُ مكانى عند الملك . ولما جئت أحطم عظامى على أرض هذا المكان المُوحِش هذه الليلة . ولما تركتُ امرأتى وولدى وحدهما فى عذاب القلق وسْط هوجاء المذبحة .

يمليخا : (بعد لحظة صمت) مولاى ! أو تَركتَ أهلك فى الخطر !

مرنوش : أحمد الله على أن ليس أحد يعلم أنهما مسيحيان ، ولا أنهما يَمُتّان إلىّ بصلة ، إن أمر زواجى سر لا يعرفه غير ثلاثتنا الآن . ثم إنى أخفى امرأتى وولدى عن الناس فى بيت منفردٍ منذ سنوات . كلا ... لا خوف عليهما ... لقد عَصفتْ قبل اليوم مذابح ومجازرُ فلم يمتد إليهما أذى .

يمليخا : ذلك من فضل المسيح .

مرنوش : قل هو سوء المصادفة أن يظهر سرُّنا للملك ، ولما يمض

يومان على أمره بذبح المسيحيين .

يمليخا : نعم إنى أتخيل مبلغ غضبه .

مرنوش : قيل إنه جعل يَجْأرُ ، والرسالة فى يده يتلوها ضاحكاً ضحكات مخيفة ، ونادى ابنته ، وأطلعها عليها وهو يصيح بمن حوله أن أعِدُّوا أقفاص السباع الضارية ، فلسوف نقدم لها وليمةً لا تنساها .

يمليخا : يا للهول ...

مرنوش : لو لم تنسلّ الأميرة بريسكا إلى باب القصر تنتظر أوبتنا من صلاة الفِصح لتدعونا إلى الفرار ...

يمليخا : هو المسيح شاء لكما النجاة .

مرنوش : نعم ... ولكن أية نجاة هذه التى تفصل بينى وبين امرأتى وولدى ؟ آه ! كلما أذكر ابنى ينهض هذا الصباح ولا أقبله ...

يمليخا : كم تحب أهلك !

مرنوش : إنى إنما أحيا بهما ولهما ...

يمليخا : صبراً ! إن رحمة الله قريب .

مرنوش : حقيقة ! قرب السماء من الأرض ! تلك الرحمة التى لا تسعف إلا من يستطيع الانتظار !

يمليخا : لا تسخر ... إن الله حق ...

مرنوش : لا شأن لله بنا ها هنا . نحن اللذان أوقعنا بنفسينا فى التهلكة ... ومع ذلك ... فإنى ما أوقعت نفسى .

يمليخا : كل شيء على هذه الأرض بأمر الله .

مرنوش : إلا ما نحن فيه ... فقد حدث بفعل إنسان .

يمليخا : (**مستنكراً**) أستغفر الله! هذا كلام لا يلفظه مؤمن!

مشلينيا : (**يحاول النهوض فتؤلمه عضلاته**) آه !

مرنوش : إلى أين ؟

مشلينيا : سيذهب هذا الإنسان كى يصلح فعلته .

مرنوش : ويحك ! ماذا عساك تصنع ؟

مشلينيا : سأذهب إلى الملك توًّا وأقول له : « إنى جنيت على مرنوش ظلماً ، وإن اسمه فى الرسالة لا يعنى شيئاً ... وهأنذا أقدم حياتى » .

مرنوش : اقعد ... وكفى هذراً ! قل إنك ذاهب لترى

حبيبتك .

مشلينيا : واأسفاه !

مرنوش : علام تأسف ؟

مشلينيا : ما كنت أعرفك سيئ النفس بهذا المقدار .

مرنوش : كفى ، اقعد ، ولا تكن سبباً فى نكبة أخرى . مهما تقل للملك لا يصدقك ، وربما حملك بالإرهاب والتعذيب على الإخبار بمكانى .

مشلينيا : (**يعود إلى القعود فى قنوط**) يا إلهى ! ماذا أستطيع لك إذن ؟

يمليخا : دع الأمرَ للمسيح .

مشلينيا : ليت المسيحَ يعلم ! أستغفر الله ! أعتقد أنه يعلم ، وأنه سيخفف عنك .

مشلينيا : متى ؟

يمليخا : متى ؟ اللهم رُحماك ! إنا لا نملكُ حق سؤال كهذا . إنما ينبغى لنا أن نعتقد .

مشلينيا : إنى أعجب بإيمانك يا يمليخا .

يمليخا : إنى أؤمن بالمسيح لأنه حق ، ولا يمكن أن تكون هذه البشرية قد بذلت أرواحها وسفكت دماءها من أجل شىء غير الحق .

مشلينيا : أوُلِدتَ مسيحياً ، أم اعتنقت الدين على كبر ؟

يمليخا : بل ولدتُ مسيحياً ...

مشلينيا : مثلى إذن .

يمليخا : نعم . ولكن الإيمان الحقيقى ، إيمان اليقين والاقتناع لم يضىء كل نفسى إلا من يوم سمعت ذلك الراهب يتكلم تحت أسوار طَرسوسَ .

مشلينيا : أى راهب ؟

يمليخا : كان ذلك منذ خمسة أعوام إذ بلغت الثلاثين . وما كنتُ بعدُ أفكر فى غير غنمى . وكنت أدين بالمسيحية اسماً بحكم الوراثة وحدها لا عن شعور واقتناع ، حتى كان يوم ذهبت إلى مدينة طرسوس فى بعض شأنى ، فلمحت خارج أسوارها راهباً يتكلم فى جمع صغير تخفيه عن الأعين خرائب قديمة وأحجار . فاقتربت

وطفقت أصغى ، وإذا بى كأنى انقلبت إنساناً آخر ، وكأن عينى تريان ما كانتا عنه غافلتين .

مشلينيا : ماذا كان يقول ذلك الراهب ؟

يمليخا : لست أذكر شيئاً مما قال . لكنى لن أنسى ما شعرت به إذ ذاك : إحساس لم يعترنى فى حياتى من قبل إلا مرة ، إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب ، فأشرفت على منظر بالخلاء لم أر أجمل منه ، فلبثت ليلتى أفكر وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ، أفى الطفولة ، أفى الأحلام ، أم قبل أن أولد ؟ إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولا منى ! وقمت فى الفجر فذكرت صورة البارحة . وفجأة برقت فى رأسى فكرة : هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الأزل منذ وجدت الخليقة . هذا الإحساس بعينه هو ما شعرت به وأنا أصغى إلى الراهب . إن كلامه الذى أسمعه لأول مرة ليس مع ذلك جديداً عندى . أين سمعته ومتى ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الحلم ؟ أقبل أن ولدت ؟ وتولدت

في نفسي عقيدة أن هذا الكلام هو الحق ، إذ لا أتصور
بدء الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه ...

مشلينيا : (**في شبه دهش**) مرنوش ! أسامع ؟

مرنوش : نعم .

مشلينيا : ما تقول في ذلك ؟

مرنوش : أقول إن هذا الراعي يتكلم هراء ولا أفهم ما يقول .

مشلينيا : أنت لا تفهم شيئاً سوى أنك غبت ليلة عن امرأتك وولدك .

مرنوش : (**في شبه تهكم**) وأنت ماذا فهمت منه ؟

مشلينيا : فهمت أننا بعيدان عن الله . وأن قلبينا مشغولان بغير الله .

مرنوش : وأي بأس في ذلك ؟

يمليخا : (**مستنكراً**) اللهم رحماك !

(**ينهض**)

مرنوش : إلى أين أيها الراعي المتنسك ؟

يمليخا : (**في تردد**) إلى ... إلى ... إني أحس الجوع . ألا

أذهب إلى المدينة تحت ستر الظلام أحضر طعاماً لكما ولى ... ؟

مرنوش : (**فى ارتياب**) وهل ستعود إلينا ؟

يمليخا : إنى أترك قطميراً هنا .

مرنوش : (**يشير إلى الكلب فى دهشة**) انظر ... انظر ! ها هو ذا ينهض . عجباً ! أترى شبحه كيف يتلوى فى الظلام وكيف يتمطى ! يخيل إلىَّ أن كل من نام فى هـذا الكهف يصحو وكأن أعضاءه متكسرة . (**لحظة**) صدقت يا يمليخا . ينبغى أن تشترى لنا طعاماً . لقد ذكرتنا بالجوع ، إنى أحس كأن معدتى خاوية خالية حتى من الهواء ! وأنت يا مشلينيا ألست جوعان ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) لا تجيب ؟ لعلك مشغول حتى عن الجوع !! (**بعد لحظة**) يخيـل إلـىَّ أنى لسـت جوعان كما ينبغى ، إنى أحس كأن عضلات بطنى قد صدئت أو نامت هى الأخرى وتحتاج إلى منبـه . يمليخا ! كم تحسن صنعاً لو شربت لنا ما يحرك شهوتنا

للطعام . هل معك نقود ؟

يمليخا : معى ...

مرنوش : (**وهو يدس يده فى جيبه**) بل انتظر ! كانت معى أمس فيما أذكر دراهم من الفضة . إنها لم تزل فى جيبى ، خذ ... (**يمليخا يأخذ منه النقود ويخرج**) .

مشلينيا : أتدرى يا مرنوش ما يجول برأس هذا الراعى الآن ؟

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : ألا ترى أنه أسرع إلى مغادرة المكان ، لأنه لم يطق سماع كلامك ؟

مرنوش : حسناً فعل .

مشلينيا : نعم . ولعله أصاب فى رأيه . أنا أيضاً أشك ...

مرنوش : فيم تشك ؟

مشلينيا : حبنا لأنفسنا أقوى من حبنا لله . وأكاد أرى أنا لا نثق بالله كثيراً .

مرنوش : ألم نُصَلِّ له ؟

مشلينيا : نعم ، كى تسأله الخير لامرأتك وولدك .

مرنوش : وأنت لبريسكا .

مشلينيا : كنا نصلى له على الأقل ... ولكن مذ جئنا الكهف فنحن لا نفكر فى غير من ... (**مستدركا**) فأنت لا تفكر فى غير من تحب . إذاً أنت ناقم علىَّ وعلى الله والمسيح وعلى كل من سبب لك الفراق . فلتنقم علىّ يا مرنوش ولا بأس ، أما الله والمسيح ...

مرنوش : لست ناقمًا عليك يا مشلينيا ولا على الله والمسيح ... لأنى لست أفكر فى أيكم الآن .

مشلينيا : أرأيت ؟ هذا عين ما أريد قوله . إنا لا نفكر قط فى الله .

مرنوش : مشلينيا ! أتصغى إلىَّ ؟

مشلينيا : نعم .

مرنوش : إن الله وقد خلق لنا قلوباً قد نزل عن بعض حقه علينا .

مشلينيا : (**بعد تفكير يصيح فى فرح**) قد تكون صادقاً فى هذا يا مرنوش ... (**فى شك**) لكن ...

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : الراعى . هذا الذى نبهنا إلى الله الآن . ألا ترى كيف يذكره والمسيح فى كل وقت !

مرنوش : إن صاحبك الراعى لخلّى . فما يضيره أن يمنح قلبه كله لله أو للشيطان .

مشلينيا : (**فى تأمل أو كمن يقنع نفسه**) أصبتَ ...

(**صمت**)

مرنوش : (**فجأة**) ذهب يمليخا الراعى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منه ؟

مرنوش : لو أنى وجهته إلى بيتى فى طريقه يرى زوجى وولدى وينبئهما بخبرى وبقرب أوبتى ؟

مشلينيا : إنه لا يعرف منزلك . ما تقول لو ذهبت أنا ؟ إن مرآى وحده قد يملؤهما اطمئنانا .

مرنوش : (**فى تردد**) أخشى أن ترتكب غلطة فتفسد علينا الأمر .

مشلينيا : لا تخش شيئا .

مرنوش : آه .! ستذهب طبعاً بعد ذلك إلى خيث تراها أيها الخبيث !

مشلينيا : وأى ضرر فى هذا ؟ إنها تنتظرنى هى أيضا ، تنتظر منى خبراً . أتذكر يوم وقفت خلف الباب تحملنا على الهرب ؟ أتدرى ما قالت لى وهى تودعنى وأنت تجذبنى من ذراعى تستعجلنى ؟ لقد قالت إنها سترقبنى من نافذتها بعد ثلاثة أيام عند مطلع الفجر .

مرنوش : وهل انقضت بعد الأيام الثلاثة ؟

مشلينيا : لا بأس أذهب على كل حال أتجسس وأعود .

مرنوش : وإذا لمحك أحد وعرف من أنت ؟

مشلينيا : لا تخف ، سأتسلل فى الظلام ولا أرى أحداً وجهى .

مرنوش : (**فى عزم وقوة**) كلا . فى خروجك خطر .

مشلينيا : (**فى غيظ كظيم**) أتأبى علىَّ ...

مرنوش : نعم .

مشلينيا : ما أشد أثرَتك !

مرنوش : أنا !؟

مشلينيا : نعم أنت .

مرنوش : يا للويل ! أنسيت وشيكا ما كنت لك دائمًا ؟ وما كنت لك فى حبك هذا على الأخص ؟!

مشلينيا : إنك اليوم محوت كل شيء طيب من ذاكرتى .

مرنوش : لأنى أبديت بعض الحذر من نزق محب مثلك .

مشلينيا : بل لأنك لا تفكر منذ جئنا هنا إلا فى نفسك وفيما يمكن أن يعرضك للخطر .

مرنوش : وأنت لا تفكر إلا فى الذهاب إلى من تحب ولو جلبت على من معك الوبال ! فأينا شديد الأثرة !

مشلينيا : أنت .

مرنوش : أنا أيضاً ؟ ما أعمى عين المحب وما أكفره !

مشلينيا : قل هذا لنفسك أنت كذلك على الأقل .

مرنوش : إنى أرى عيوبى ولا أكفر بفضل إنسان .

مشلينيا : (**فى تهكم**) لو أن الراعى هنا لأخبرك أنك كفرت على الأقل بالله والمسيح .

مرنوش : على الأقل ؟

مشلينيا : نعم . لأنى لا أود أن أذكرك بأحد آخر ...

مرنوش : إنك لفتى سيئ النفس !

مشلينيا : أنا ؟!

مرنوش : نعم . إنى لست مثلك يسهل محو كل شيء طيب من ذاكرتى ؛ إنى لا أستطيع أن أنسى يا مشلينيا أنك الوحيد الذى عاوننى فى زواجى الخفى ... ولازمنى فى كل ظروفى الحرجة التى مرَّ بها تأسيس هذه الأسرة المخبوءة ... إنى لا أستطيع أن أنسى أنك كنت تفرش معى المنزل وتحمل إلينا على ذراعيك ليلا الخضر والفاكهة إذ كنا لا نأتمن خادماً ولا عبداً على سرنا . ولا أنسى يوم ولد ابنى أنك جعلت تحوك أثوابه الصغيرة وقلانسه بيدك قبيل نزوله إلى هذا العالم ... أجل ، لولاك ما كنت أستطيع أن ...

مشلينيا : لا أريد أن تذكر هذا . أريد فقط أن تذكر أنك اليوم أضفت إلى ما أنا فيه ألم وخز الضمير بترديدك وتلميحك فى كل لحظة أنى سبب مصيبتك ...

مرنوش : (**فى عتب وتأنيب**) أهذه أول مرة عـرَّضت فيها نفسى للخطر من أجلك ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) ألا تعترف مرة بما فيك من عيب المحبين ! العمى والكفر والنسيان . أنت كذلك على الأقل ! قل .

مشلينيا : (**يهدأ**) أعترف أنك عرَّضت نفسك للخطر من أجلى حقيقة .

مرنوش : وإذن ؟ أفلا تسمح لى ببعض التبرم البرىء فى ساعة ضيقى !

مشلينيا : وأنا ؟ متى كفرت بك ؟

مرنوش : إن الحب ليبتلع كل شىء حتى الصداقة وحتى الإيمان .

مشلينيا : حتى الإيمان ؟!

مرنوش : لأنه هو نفسه إيمان أقوى من كل إيمان .

مشلينيا : أدرك ما تعنى ...

مرنوش : ماذا أعنى ؟

مشلينيا : لـولا امـرأتك المسيحيـة لما كـنت اعتنـقت ديـن المسيـح ... أنت الوثنـى المؤمـن بالوثنيـة وساعـد

دقيانوس الأيمن فى مذابحه السابقة !

مرنوش : ولولاك أنت لما اعتنقت الأميرة بريسكا دين المسيح وهى المؤمنة بدين أبيها دقيانوس ؟

مشلينيا : (**يكتم اغتباطه**) مرنوش ! أتراها حقيقة تركت دينها لهذا السبب ؟

مرنوش : وهل فى هذا شك ؟

مشلينيا : أنت دائمًا تُفهمنى ذلك .

مرنوش : لأنك لا تريد أن تفهم أيها الأحمق .

مشلينيا : (**مستذكراً فى فرح**) نعم . إنى لن أنسى تلك الليلة التى طالما حدثتك عنها . ليلة كانت فى ثياب بيضاء تخطر فى بهو الأعمدة حيث موعدنا بعد سكون القصر . لقد قلت لها وقتئذ فى غير حذر « إنك ملك من ملائكة السماء » ؟ فنظرت إلىَّ دهِشة وسألت عن معنى الملك ، فقلت لها فى ارتباك هو اسم فى المسيحية لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات الأرض ، ثم صمت لحظة وقلت لها مموهاً : « ليتنى

كنت مسيحياً » فقالت : « لماذا » ؟ قلت : حتى أستطيع أن أكون خطيبك أمام الله وأن يكون بيننا عقد مقدس لا يستطيع أحدنا الحنث به » فقالت : « أهذا فى المسيحية ؟ » وصمتت لحظة ثم قالت فى سذاجة وحياء : « ليتنى أنا أيضاً كنت مسيحية » .

مرنوش : وبعدئذ بقليل كنت ببابى كالمجنون فرحاً .

مشلينيا : نعم . ومن فورك أخذت تفكر لى وتدبر الأمور ...

مرنوش : وكان أن ذهبتما سراً إلى الراهب كى يدخلها فى الدين .

مشلينيا : بفضل رأيك ومعونتك . مرنوش ! حقًا لست أنسى حرج موقفك يومئذ وقد لبثت بعد ذهابنا ترقب عودتنا وتقول لدقيانوس إذ يسأل عن ابنته إنها مع وصائفها فى الحمام ، ونقول لوصائفها القلقات هى عند أبيها . أجل ! غير أنى لا أرتعد لذكرى شىء مثلما أرتعد لذكرى دقيانوس وقد فاجأنى مسرة فى بهو الأعمدة أنتظر بريسكا وفى يدى الكتاب المقدس . إنى لم أزل أسمع صوت الملك وهو يقول لى وأنا من الهلع

لا أعى « ما هذا الكتاب بيدك ؟ » وهنا تقدمت أنت يا مرنوش وخطفته من يدى وقلت مجيباً « هذا كتابى يا مولاى نسيته فى هذا البهو » عندئذ أدركت أنك مستعد أحياناً للهلاك من أجلى .

مرنوش : لا من أجلك ، بل من أجل محب وخطيب أردت أن أحفظه لخطيبته .

مشلينيا : شكراً لك يا مرنوش ... لكن ...

مرنوش : لكن ماذا ؟

مشلينيا : لكنى مع ذلك لا أشكرك على ما كان منك اليوم .

مرنوش : أيضاً ؟؟

مشلينيا : (**فى تأمل**) نعم ... (**بعد لحظة**) لست أدرى ... ما أعجب تركيب الإنسان ! فينا القوة أحياناً إلى حد العظمة والتضحية ، وفينا الضعف أحياناً لى حد الحقارة والأنانية .

مرنوش : كان هذا لأنى أمنعك اليوم من الذهاب إليها ! (**صوت صياح يدوّى بين تجاويف الكهف**) .

مشلينيا : (**مرهفاً أذنه**) صه !

مرنوش : ما هذا ؟

الصوت : (**يقترب ويصيح**) ، أيها الوزيران !

مرنوش : من أنت ؟

الصوت : أنا يمليخا .

مرنوش : الراعى ؟ ولماذا تصيح هكذا ؟

يمليخا : أنتما فى الظلام تنتظران الفجر والشمس فى كبد السماء !

مشلينيا : أين هذا ؟

يمليخا : خارج الكهف ! ولقد عثرت بالباب فإذا هو دوننا ولا نعرف . ولكن ... شيء عجيب ... إن الحرارة والضوء لا يدخلان إلينا منه كأنما الشمس تميل عنه فى ذهابها وإيابها ...

مرنوش : أهذا كل ما فعلت ؟ أين الطعام ؟

يمليخا : لو تعلمان ما رأيت وما سمعت ...

مرنوش : تكلم ...!

يمليخا : ما كدتُ أسير خطوتين حتى رأيت أمامى فارسًا يلبس لباسًا غريبًا وكأنه صياد فأبرزت له مما معى من فضة عارضاً عليه شراء بعض صيده فما تَبيننى حتى كأنه امتلأ رعباً ولكز فرسه يريد الركض فأمسكت بزمام الدابة وأوقفتُ الرجل وأنا ألوِّح له بالنقود . وفى النهاية أخذ منى قطعة فى حذر وجعل يتأملها وأنا أرقبه ، وإذا هو يقول فى تلعثم وخوف وعجب وهو يقلبها بين أصابعه : « دقيانوس !» ثم رفع رأسه متشجعاً وقال لى « أمعك من هذا كثير ؟ » فأخرجت له كل ما معى فقال « أين وجدته ؟ » قلت « ماذا » ؟ قال « هذه النقود القديمة ... هذا الكنز ؟! » فحسبت بالرجل مَسًّا فخطفت منه قطعتى وابتعدتُ عنه وهو يتبعنى بنظرة عجب واستطلاع وخوف ، ثم لكز فرسه واختفى عن بصرى ...

مرنوش : صدقتَ إن بصاحبك مَسًّا .

مشلينيا : لا يا مرنوش ... لا تتعجل ...

مرنوش : ما بك ؟

مشلينيا : لقد داخلنى شك .

مرنوش : فى ماذا ؟

مشلينيا : فى زمن إقامتنا بهذا الكهف . ألا تذكر أنى أتيته حليقاً ؟ ها أنذا الآن ولحيتى مرسلة وشعرى يتدلى . ما تنبهتُ إلى ذلك إلا الساعة ! وأنا أحك رأسى بظفرى ...

يمليخا : نعم . نعم . أنا كذلك لحظت وأنا أخرج قطعة الفضة للرجل أن أظافرى طويلة على هيئة لم أعهدها من قبل ! ومن يدرى لعل الرجل ارتاع من منظر شعرى المبعثر الأشعث . نحن هنا فى الظلام لا نلحظ شيئًا ولا يرى أحدنا الآخر .

مشلينيا : ترى ألبثنا أسبوعا ونحن لا نشعر !

مرنوش : (**يتلمس رأسه**) صدقتكما ! أنا أيضاً لا أحسبنى جئت الكهف بهذا الشعر كله فى رأسى ولحيتى . هذا عجيب ! انظر يا مشلينيا . لو كنت تبصر فى الظلام .

أكاد بهذه اللحية أشبه القديسين على ما يخيل إلىَّ ...

يمليخا : لعلنا مكثنا شهراً . .

مرنوش : ويحك ! شهراً ؟! وأين كنا طول هذه المدة ؟

يمليخا : كنا نياماً .

مرنوش : أهذا كلام عاقل ؟

يمليخا : ولم لا ؟ إنى سمعتُ من جدتى ووالدتى وأنا صغير أن راعياً اعتصم بغارٍ من سيل هائل وكان مؤمناً بالله والمسيح فنام شهراً حتى انقطع السيل فصحا وخرج سالمًا كما دخل دون أن يشعر بالزمن .

مرنوش : تلك أساطير عجائز .

يمليخا : إنى أومن بهذه الأسطورة ولا أرى فيها عجباً . لقد قيل إن الجثث لا تفسد سريعاً فى الغار لرطوبة المكان فكيف والشهر ممطر وكيف وإرادة الله والمسيح تشاء النجاة لذاك المؤمن !

مرنوش : (**نصف ساخر**) وفى حالتنا هذه ؟ ما تقول ؟ أهو المطر والسيل ؟ أم إرادة الله والمسيح ؟

يمليخا : فى حالتنا هذه كذلك ... ألم أقل إنى رأيت الشمس تميل عن الكهف على نحو عجيب ، أليس ذلك كى لا تؤذى حرارتها أبداننا ؟ هى إرادة الله والمسيح شاءت هذه الأعجوبة لتنجى المؤمنين .

مرنوش : (**فى تهكم خفيف**) المؤمنين ؟، أشكرك يا يمليخا ! أظن أن لولا وجودك معنا ما كانت إرادة الله والمسيح شاءت لنا أية أعجوبة !!

مشلينيا : (**ناهضاً فجأة**) مرنوش !

مرنوش : إلى أين يا مشلينيا ؟

مشلينيا : مهما يكن من أمر فلا ريب أن الأيام الثلاثة قد انقضت .

مرنوش : تعنى أنك ذاهب إلى ...

مشلينيا : ولن تمنعنى قوة فى الأرض .

مرنوش : (**فى تهكم خفيف**) ولا فى السماء ؟؟!

(**صوت ضجة خارج الكهف**)

يمليخا : صه ! أتسمعان ؟

مرنوش : ما هذا أيضاً ؟

يمليخا : (**مرهفاً الأذن**) هذا صوت أناس عديدين !

مرنوش : (**ناهضاً بقوة**) ويلنا ! هلكنا ...

مشلينيا : هلكنا !

مرنوش : نعم . هؤلاء ولا ريب رجال دقيانوس جاءوا يلتمسوننا . أرأيت يا يمليخا ؟ إن هذا الفارس المخبول قد ذهب ودلَّ على مكاننا . ألم أقل لكم لا خروج قبل أن نستوثق من الأمان ؟ وأنت يا مشلينيا الذى كنت الآن على وشك الخروج !!

(**صوت الناس فى الخارج يقترب**)

الناس : (**صائحين فى الخارج**) يا صاحب الكنز ! ابرز إلينا يا صاحب الكنز ! لا تخف اخرج لنا ولا تخف !.

مرنوش : أى كنز ؟! ومن هو صاحب الكنز ؟!

يمليخا : (**يشير بالصمت هامساً**) صه ! صه !.

مشلينيا : (**همساً**) أخشى أن يدخلوا علينا .

الناس : (**تقترب من باب الكهف**) هذا كهف ! هذا باب

كهف !. (**فئة أخرى من الناس**) لكنه مظلم !.. إنه مظلم ..! (**فئة أخرى**) أحضروا المشاعل ؟ أوقدوا المشاعل !

مرنوش : (**همساً**) ما العمل ؟

مشلينيا : (**همساً**) إننا محاصرون !

يمليخا : (**همساً**) فلنسلم أنفسنا لله والمسيح !

(لا تمضى لحظة حتى يشع فى داخل الكهف ضوء ، ثم يشتد اللغط ويدخل الناس هاجمين وفى أيديهم المشاعل ولكن .. ما يكاد أول الداخلين يتبين على ضوء المشاعل منظر الثلاثة حتى يمتلىء رعباً ويتقهقر وخلفه بقية الناس فى هلع وقد اضطرب نظامهم وهم يصيحون صيحات مكتومة) .

الناس : (**فى تقهقر ورعب**) أشباح !... الموتى ...! الأشباح ...! (**ويخرج الجميع فى غير نظام تاركين بعض مشاعلهم . ويخلو المكان للثلاثة وكلبهم**

والضوء منتشر ولكنهم ساهمون جامدون كالتماثيل كأنما أرعبتهم هم أنفسهم هذه الكلمات : « أشباح وموتى » أو كأنهم لا يفهمون مما رأوا وسمعوا شيئاً) .

الفصل الثانى

(بهو الأعمدة . الأميرة بريسكا بين وصائفها وفى يدها كتاب ....) .

الأميرة : (**متسائلة**) أين مؤدبى غالياس ؟ لم أره هذا النهار . (**يبدو المؤدب غالياس مقبلا على عجل وهو شيخ طاعن فى السن أبيض الشعر . وتنصرف عندئذ الوصائف وتبقى الأميرة ومؤدبها**) .

غالياس : (**وهو يلهث**) ها أنذا أيتها الأميرة !

الأميرة : عجباً ! مالك تلهث والعرق يتصبب من جبينك !

غالياس : كنتُ بالمدينة يا مولاتى ، ولو لم أذكرك الساعة لما جئتُ ركضا .

الأميرة : ماذا بالمدينة ؟ أبى كذلك كان يطلبك الساعة فى

اهتمام غريب .

غالياس : (**يتحرك بسرعة**) الملك يطلبني ؟

الأميرة : (**مستوقفة**) انتظر ! أترى ما بيدى ؟ كتاب الأحلام إنى رأيتُ الليلة حلماً عجيباً يا غالياس ؟

غالياس : خيراً يا مولاتى ؟

الأميرة : رأيتُ كأنى دفنتُ حية .

غالياس : (**مفكراً لحظة**) يا إلهى ! أيمكن أن يكون لهذا صلة بما شاع اليوم فى المدينة ؟!

الأميرة : ماذا شاع بالمدينة ؟

غالياس : أن كنزاً من عهد دقيانوس مدفون فى كهف بوادى الرقيم .

الأميرة : (**مستذكرة**) دقيانوس ؟!

غالياس : نعم دقيانوس صاحب عصر الشهداء . ألم أحدثك بخبره فيما حدثتك من قديم التواريخ ؟

الأميرة : أليس هو أب تلك الأميرة التى تسميت باسمها ؟

غالياس : ها أنت ذى قد ذكرتِ يا مولاتى . نعم هى

ابنته ... تلك الأميرة القديسة التى تنبأ لك العراف ساعة ميلادك بأنك ستشبهينها خَلقاً وإيماناً .

الأميرة : أوَ ترى هذا العراف قد صدق ؟ أوَ ترانى أشبهها حقيقة ؟ إنى لا أكاد أعرف شيئا يا غالياس . وأنت لا تريد أن تطلعنى على تاريخها . ما أقساك ! إنك لا تحس مبلغ رغبتى فى معرفة تلك التى يزعمون أنى أشبهها ... !

غالياس : أقسم بالمسيح يا مولاتى أنى أطلعتك على كل ما أعرف عن تاريخها وكل ما وصل إلى علمنا من عهدها . ألم أقل لك إنها كانت مسيحية شديدة الإيمان بالله والمسيح فى عصر كانت المسيحية فيه مضطهدة مغلوبة . ألم أقل إنها ظلت تخفى دينها عن أبيها الوثنى الظالم . وإنها ظلت راهبة تأبى الزواج حتى استشهدت عذراء فى سن الخمسين .

الأميرة : إنك قلتَ لى مرة يا غالياس إنها سُمعت تقول كلما أرغموها على الزواج إنها مرتبطة بعهد مقدس لن تحنث به ...

غالياس : أصبت يا مولاتى .

الأميرة : ترى مع مَن هذا العهد المقدس ؟

غالياس : مع الله يا مولاتى . مع مَن غير الله تريدين ؟...

الأميرة : كنت أحسبه مع من اختراه قلبها .

غالياس : (**مستنكراً**) حاشا لله يا مولاتى ! أستغفر الله ! أوَ يختار قلبها غير الله ؟

الأميرة : وما يمنع ؟ إن قلب المرأة يتسع دائماً لله وغير الله . إنك لا تعرف قلب المرأة يا غالياس . لأنك أحمق .

غالياس : مولاتى ! إنى اطلعتُ على تاريخها كله .

الأميرة : (**فى تهكم**) ولم تفهم منه شيئا ، غير ما يمكن أن يفهمه شيخ مثلك .

غالياس : إنى أفهم الحقيقة . لقد كانت قديسة لا ريب

فيها . وبالأمس عثرت على سفر قديم ورد فيه أن إحدى وصائفها كانت تسمعها دائماً تقول « إنى أنتظر كل يوم ... وسأنتظر ولن أملَّ الانتظار حتى يعود » .

الأميرة : أرأيت ؟ من تنتظر ؟ من الذى يعود ؟

غالياس : المسيح يا مولاتى . تنتظر يوم عود المسيح من السماء .

الأميرة : إذن كانت قديسة حقيقية ؟؟

غالياس : وهل فى هذا شك !

الأميرة : لا شك أن هذه القديسة كانت تفضل أن تكون امرأة ، لو أنها استطاعت .

غالياس : لا تتهكمى يا مولاتى . أتوسل إليك أن لا تتهكمى على جدتك العظيمة ؟

الأميرة : (**وهى تعبث بصليب فى عنقها**) أصحيح يا غالياس أن هذا الصليب الذهبى الذى أحمله فى جيدى منذ الطفولة كان صليبها ؟

غالياس : نعم يا مولاتى . إنه إحدى مخلفاتها الثمينة . ويقال إنها رأت فى المنام ذات ليلة أن المسيح يقلدها إياه فاستيقظت فوجدته فى عنقها فبهتت وتملكها فرح عصبى ظل ملازما لها فى فترات من حياتها حتى ماتت .

الأميرة : إنها ماتت فى هذا البهو يا غالياس .

غالياس : نعم . لقد كانت تحب العزلة دائماً فى هذا البهو . ولما احتضرت فى حجرتها طلبت فى النفس الأخير أن تحمل لتموت فى بهو الأعمدة ؟!

الأميرة : لماذا فى بهو الأعمدة ؟!

غالياس : من يدرى يا مولاتى . من يدرى ؟

الأميرة : إذن هنا . فى هذا البهو عينه ؟ وربما فى هذا الموضع الذى نقف فيه الآن ...

غالياس : نعم ... هنا ... ماتت الأميرة القديسة بريسكا منذ ثلاثمائة عام !

الأميرة : (**بعد برهة صمت**) ما أشد شغفى بخبر تلك

الأميرة !

غالياس : من يدرى يا مولاتى ! قد تكونين أنتِ أيضاً كما كانت وتصدق فيك نبوءة العراف !

الأميرة : (**فى تهكم**) أنا ... قديسة ؟! كل شيء إلا هذا .

غالياس : هذا ليس بكثير على ...

الأميرة : كلا . لستُ أريد . ليس هذا حُلمى ...

(**يسمع صوت فى الخارج**)

الصوت : (**فى الخارج ينادى المؤدب**) يا غالياس !

غالياس : (**يستدير سريعاً ويهمس**) الملك !

الملك : (**يدخل**) يا غالياس ! أسمعتَ الخبر ؟

غالياس : نعم يا مولاى . خبر الكنز ...

الملك : بل الأشباح .

غالياس : (**وكذلك بريسكا**) : الأشباح !؟

الملك : (**لغالياس**) ألم تذهب إلى الغار مع الناس ؟ أين كنت إذن ؟

غالياس : كنتُ أصغى مع الناس إلى حكاية الصياد الذى

جاء بالخبر وكنتُ على وشك الذهاب معهم إلى الغار، ولكنى فجأة تذكرت درس الأميرة .

الملك : لقد عاد هذا الصياد الآن يعدو على فرسه ويروى عجيباً : إنهم أبصروا بالغار ثلاثة مخلوقات مفزعة الهيئة أشعارهم مدلاة ويلبسون ملابس غريبة ومعهم كلب عجيب النظرات ، فولوا منهم رعبا ...

بريسكا : (**خائفة**) يا إلهى ! مخلوقات مفزعة ... ؟

الملك : لا تخافى يا بريسكا .

غالياس : (**مفكراً**) أممكن أن يكون هذا ؟!.

الملك : ماذا ترى يا غالياس !؟

غالياس : ثلاثة رابعهم كلبهم ! مولاى ... أممكن أن يكونوا هم ؟!.

الملك : من هم ؟

غالياس : (**كمن يخاطب نفسه**) نعم ... نعم ... ثلاثة رابعهم كلبهم ...

بريسكا : من هم يا غالياس ؟

غالياس : ألم أحدثك يا مولاتى فيما حدثتك عن تاريخ عصر الشهداء أن فتية من أشراف الروم هربوا بدينهم من دقيانوس و لم يظهروا و لم يُعلم عنهم شىء،وقد لبث معاصروهم ينتظرون أوبتهم وينشئون عنهم الأساطير مؤكدين عودتهم ... ولقد قرأتُ كتباً قديمة تتنبأ بيوم يظهرون .

الملك : هذا ما قاله شيخ كان بين الناس فى الغار على رواية الصياد .

بريسكا : (**فى خوف وحب استطلاع**) ماذا قال هذا الشيخ يا أبى ؟

الملك : قال للناس عندما رآهم ورأى لباسهم إنهم لسيسوا بأشباح موتى ؛ لأن آباءنا وأجدادنا حدثونا عن فتيين من أصحاب دقيانوس هربا منه ولحق بهما راعٍ وكلبه وأنهم اختفوا ولكن سوف يظهرون ، وكلما جاء عصر ، ذكرهم الناس وانتظروهم ...

بريسكا : ولكن يا أبتى ... ها قد أوشك أن ينساهم الناس فى

عصرنا هذا !

غالياس : أجل يا مولاتى ... إن القديسين لا يظهرون إلا فى عصر يُنسَون فيه ..

الملك : أتؤمن إذن بهذا يا غالياس ؟

غالياس : (**فى حماسة وفرح**) كل الإيمان يا مولاى . نعم ، الآن لا ريب عندى فى أنهم هم ولقد أظهرهم الله فى عصرك السعيد يا مولاى لأنك مسيحى مؤمن بإله واحد ولأن عصرك عصر المسيحية الزاهرة .

الملك : (**فى فرح**) ما أسعد حظى لو أن ما تقول صحيح !

غالياس : (**فى فرح كذلك**) صحيح يا مولاى . هم . هم . ثلاثة رابعهم كلبهم : القديس مرنوش ، والقديس مشلينيا ، والقديس يمليخا ، والكلب قطمير ، كما جاء فى كتاب الراهبين .

بريسكا : (**فى شبه رهبة**) هذا عجيب ! هذا عجيب يا غالياس ! إنى لا أستطيع أن أتخيل هذا الذى تقول ...

غالياس : (**مستمراً فى فرحه وحماسته**) إنى حدست منذ أن

وصف الصياد هذا الرجل الغريب الذى طلع عليه وأبرز له قطعة الفضة المضروبة باسم دقيانوس . أما الآن وقد علمتُ أنهم ثلاثة لا واحد ورابعهم كلبهم ، فقد انطبقت أوصافهم على ما جاء فى التاريخ فلا محل للحدس والريب .

بريسكا : (**فى خوف وحب استطلاع**) ولكن أين كانوا ؟ وهل لبثوا أحياء طول هذا الزمن ؟!

الملك : (**مصادقاً**) نعم يا غالياس أجب ! أتعتقد أنهم مكثوا بالغار أحياء أكثر من ثلثمائة عام !!

غالياس : (**بعد تفكير**) ولِم لا ؟ من يدرى ؟ ألم يبلغك يا مولاى ما جاء بكتب الهند ؟

الملك : ماذا ؟...

غالياس : قصة فى جزر اليابان تدعى قصة أوراشيما .

الملك : وما دخلها فيما نحن فيه ؟

غالياس : إنها تشبه قصة هؤلاء الفتية ، ويظهر أنها وقعت حقيقة يا مولاى ، لأن سكان تلك البلاد يؤمنون بها إيماننا

بقصة فتية الكهف .

الملك : وهل ظهروا عندهم كذلك بعد اختفاء طويل ... ؟

غالياس : أجل يا مولاى . مدوّن فى التقاويم الرسمية لملوك تلك البلاد أنه فى السنة الحادية والعشرين من حكم الميكادو « يورياكو » خرج الفتى الصياد « أوراشيما » من إقليم « يوشا » للصيد فى قاربه ولم يعد . ولبث ـــ دون أن يُسمع عنه خبر ـــ مدى حكم واحد وثلاثين ملكا وملكة ، أى مدى أربعة قرون ... وعندئذ تقول التقاويم الرسمية إنه فى أثناء حكم الميكادو « جونجو » ظهر الفتى « أوراشيما » ... غير أنه ذهب وشيكا مرة أخرى ... ولا يعلم أحد إلى أين ذهب .

بريسكا : (**مأخوذة ، ثم بعد لحظة**) وأين كان هذا الفتى الصياد يا غالياس أثناء القرون الأربعة ؟!

غالياس : لست أدرى يا مولاتى . هذا مبلغ علمى بتلك القصة ...

بريسكا : إنك دائماً كذلك يا غالياس سطحى العلم !

غالياس : (**مستاء**) مولاتى ! بل هو ذكاؤكِ الذى لا يقنع بشىء ...

الملك : (**متفكراً**) عجباً يا غالياس ! إذن فى تلك البلاد أيضاً يعتقدون فى عودة من يختفى بعد هذا القدر الهائل من السنين ؟!

غالياس : نعم يا مولاى . ولعل لكل جنس من أجناس البشر قصة كهذه ...

الملك : إذن لا ريب عند الناس فى أن من ذهب سوف يعود ؟!

غالياس : نعم يا مولاى . ومن مات سوف يبعث . تلك قصة البشرية الخالدة ، وإذا كانت القصة ضمير الشعب كما يقولون ، وإذا كانت البشرية قاطبة على اختلاف أجناسها وأجيالها قد اتحدت وتلاقت فى قصة واحدة . أفيمكن يا مولاى لضمير البشرية قاطبة أن يخطىء ؟!

الملك : (**يفيق من تأمله**) إذن ماذا تنتظر يا غالياس ؟ لم لا تذهب إلى الغار فتأتى بهؤلاء القديسين ضيوفاً كراماً

على قصرنا !

غالياس : (**فى حماسة**) أصبت يا مولاى . أشهد أن ليس فى ملوك الروم المسيحيين من هو أشد تقوى ومسيحية منك !

الملك : (**يستطرد فى حماسته**) لماذا لم تبلغ الرهبان ورجال الدين كلهم كى يقوموا بالشعائر والطقوس والمراسيم بما لم يسبق له مثيل . إنها لمناسبة تاريخية لا يمكن أن يرى نظيرها دهر من الدهور .

غالياس : أصبت يا مولاى ، أصبت أيها الملك المؤمن . نعم فلنذهب يا مولاى ... فلنذهب ...

(**تسمع ضجة خارج البهو**)

بريسكا : ما هذا الضجيج ؟

الملك : انظر يا غالياس ما الخبر ؟ (**غالياس يخرج سريعاً ملبيا**) .

بريسكا : (**للملك**) أبت أوَ لم تزمع حقيقة إنزال هاته المخلوقات القصر ؟

الملك : أى مخلوقات يا بريسكا ؟

بريسكا : (**فى خوف**) أصحاب القصة . هؤلاء الأشباح الذين ملأوا مَن رأوهم رعبًا .

الملك : أأنتِ خائفة ؟

بريسكا : (**فى خوف**) نعم .

الملك : (**ملاطفاً**) هدئى روعك يا بريسكا . إنهم مثلنا فى كل شىء . سترين . لا شك أن الوهم هو الذى أخاف الناس منهم .

بريسكا : (**خائفة**) إنى لن أستطيع النوم يا أبت كلما ذكرتُ أن هذا القصر يحتوينى أنا وأشخاصاً خرافيين جرت بهم الأساطير منذ القدم .

الملك : كلا يا ابنتى . هم ليسوا أشخاصاً خرافيين . إنما هم قديسون . وإن وجود هؤلاء القديسين بيننا لشرف عظيم وبركة كبرى .

غالياس : (**يدخل مهرولا صائحاً معلناً**) هم يا مولاى ! هم .. هم ..!

الملك : (**مفاجأً يرتبك**) من ؟.

غالياس : أهل الكهف ...

بريسكا : (**فى صيحة خوف خافتة**) آه ...

الملك : (**فى رعدة**) كيف ... كيف يا غالياس .! كيف جاءوا ؟.

غالياس : جاء بهم إليك رهط من الناس يا مولاى .. ولعلهم اجتازوا الآن باب القصر ...

بريسكا : (**فى خوف**) غالياس ! تعال إلى جانبى ! لا تتركنى ...

غالياس : (**فى حماسة**) فلنستقبلهم يا مولاى . فلنستقبلهم أحسن استقبال .

الملك : (**بلا حراك**) نعم فلنستقبلهم ...

بريسكا : أبتِ ! لا تستقبلهم ! إنك خائف ! صوتك يتهدج فرقا .

الملك : أنا ؟

بريسكا : نعم ! أقسم أنك خائف .

غالياس : مولاتى . إن الملك مؤمن ، والمؤمن لا يخاف القديسين .

الملك : صدقت يا غالياس ، صدقت . (**الضجة تدنو منهم**) . (**فى اضطراب خفيف**) اسمع ! ها هم أولاء ...

غالياس : فلأ هْرعنَّ إذن إليهم ..

بريسكا : (**تستوقفه**) بل ابق هنا كما قلت لك .

(**يسمع صوت مشلينيا قادما**)

مشلينيا : (**صائحاً فى الخارج**) لم يتغير شىء يا يمليخا ! ها هو ذا بهو الأعمدة كما تركناه أمس !

مرنوش : نعم بهو الأعمدة لم يتغير ...

يمليخا : (**فى صوت كالعويل**) كل شىء تغير ، كل شىء تغير ...!

(**ثم يظهرون بشعورهم المدلاة ، ولحاهم الطويلة وثيابهم القديمة ، يحيط بهم رجال القصر وجنود الملك**) .

بريسكا : (**لا تكاد تراهم حتى تصيح صيحة مكتومة ، وتتمسك بأهداب ثوب غالياس**) رباه !...

مشلينيا : (**لا يكاد يرى الأميرة حتى يصيح صيحة خافتة غير متمالك**) بريسكا !.

بريسكا : (**فى رهب تحتمى بغالياس**) آه . أسمعت ؟ قد لفظ اسمى .

غالياس : (**همساً**) أرأيت ؟ إنه قديس .

(**الصياد يتقدم إلى الملك المأخوذ**)

الصياد : مولاى ! لقد أتينا بهم من الكهف ليفصل الملك بنفسه فى حقيقة أمرهم .

مرنوش : (**غامزاً مشلينيا وهامساً فى أذنه**) ! هذا ولا ريب خليفة دقيانوس .

مشلينيا : (**لا يحس وجوداً غير وجود الأميرة**) بريسكا ؟

بريسكا : (**فى خوف**) إنه ينظر إلىَّ نظرات غريبة ... غالياس ! لا أستطيع البقاء ها هنا .

(**تجذب مؤدبها وتخرج معه من باب قريب دون أن**

يشعر بها أحد إلا مشلينيا وهو دهش كأنه فى حلم) .

الملك : (**يتجلد ويتقدم إليهم قائلا فى صوت متغير بعض الشىء**) لقد نزلتم على الرحب أيها القديسون . إننا قد انتظرناكم طويلا كما انتظركم من قبل أجدادنا وأجداد أجدادنا ، وإنه لحقاً لشرف عظيم أن ...

يمليخا : (**الذى ما انفك يتأمل ما حواليه بأعين زائغة مرتاعة يهمس لمرنوش**) انظر إلى ملابس هذا الملك وهؤلاء الجند ، فى أى بلد نحن ؟!...

الملك : (**يستطرد**) نعم إنه لشرف عظيم أن تخصونى بهذا الفخر وتظهروا فى عصرى دون عصور أجدادى المسيحيين .

يمليخا : (**هامسا فى دهشة لمرنوش**) هذا الملك مسيحى !

مرنوش : (**وهو يسكته**) ألم تفهم غير هذه الكلمة ؟

الملك : (**للصياد**) وأنت أيها الصياد الذى دلنا على مكانهم الكريم ... سأكافئك . نعم أيها القديسون ! إننا كنا

ننتظر هذه اللحظة المجيدة ؛ لحظة ظهوركم منذ أمد طويل كما هو مدون فى التواريخ .

مرنوش : (**هامساً وكأنما يخاطب نفسه**) هذا الملك مجنون !

الملك : إن قصرى — إن شئتم — منزلكم ومأواكم وكل حوائجكم مجابة ، وكل أوامركم مطاعة وليس لنا من مطمح غير خدمتكم ورضاكم .

يمليخا : (**همساً لمرنوش**) ألم أقل لكم إن الله حق . إن الشهر الذى مكثناه فى الغار قد حدث فيه العجب العجاب !. (**مرنوش لا يسمع له ، ومشلينيا مشغول بما هو فيه من أمر الأميرة**) .

مرنوش : (**يلتفت إلى الملك مجيباً**) مولاى ! كم أحمد الله على هذه المعجزة الحقة . إذ أهلك دقيانوس الظالم فى طرفة عين ، وأخلفك على العرش فى الحال . وكنت أود أن أطنب فى شكر الله على توليتكم بين عشية وضحاها ملكا على أفئدتنا أجمعين ، لو لم تكن لى حاجة ملحة لا أستطيع عنها صبراً لحظة واحدة ... (**الملك يبهت**

قليلا) أن يأذن لى الملك فى الانصراف على الفور . إن امرأتى وولدى ينتظران أوبتى فى قلق منذ أسبوع وربما أكثر من أسبوع ...

يمليخا : (**هامساً لمرنوش**) إنى خائف من هذا القصر ! (**ثم يلتفت كذلك إلى الملك فى صوت مضطرب**) وأنا كذلك يا مولاى لى غنم ترعى الكلأ فى مكان لا يعلمه سواى .

مرنوش : (**فى إلحاح**) أتأذن يا مولاى ؟

الملك : (**مأخوذ مرتبك يبحث عن غالياس حوله**) يا غالياس ! يا غالياس !.

مرنوش : كلا ! لا لزوم يا مولاى . إنى أعرف الطريق إلى بيتى (**ينحنى ويخرج حالا ... وينتهز يمليخا الفرصة ويخرج فى إثر مرنوش . أما مشلينيا فيبقى ويخرج من تأمله ويتقدم إلى الملك**) .

مشلينيا : مولاى ! إنى لست خليقا بالمثول بين يديك والتحدث إليك الآن ، وأنا على ما ترى من سوء الحال . أيأذن لى

مولاى قبل كل شيء فى الذهاب إلى حجرتى أغير ملابسى هذه وأحلق شعرى الأشعث ، ولحيتى الطويلة ؟

الملك : (**فى دهش**) يا غالياس !..

مشلينيا : كلا . لا لزوم يا مولاى . أنا كذلك أعرف حجرتى فى هذا القصر ، فليعذرنى مولاى ! إنى ما انتبهت إلى رثاثة هيئتى إلا الساعة . هذا ولا ريب قد نفر الأميرة الآن فلم تردّ علّى تحيتى .. (**يخرج من البهو تاركا الملك ومن معه جامدين فى دهشة عظيمة**) .

الملك : (**يتحرك قليلا نحو باب قريب منه**) غالياس !..

غالياس : (**من الخارج**) مولاى ! (**ثم يظهر مسرعا**) ها أنذا يا مولاى ! إن مولاتى الأميرة أبت علىَّ مفارقتها فى هذه الآونة ... (**ينظر إلى الملك الساهم**) ما بك يا مولاى ؟ (**يلتفت حوله باحثاً**) أين القديسون ؟

الملك : (**ينتبه وقبل أن يكلم غالياس يلتفت إلى الحاضرين الساهمين كذلك فيأمرهم بالانصراف مشيراً**

بيده) .

غالياس : **(بعد أن ذهب الجميع ولم يبق غيره والملك يسأل فى قلق)** أين القديسون ؟!

الملك : القديسون ؟!

غالياس : نعم ، أين هم ؟

الملك : أتصغى إلَّى يا غالياس ؟

غالياس : بالطبع يا مولاى .

الملك : **(همساً)** هؤلاء القديسون مجانين .

غالياس : **(يبهت)** مجانين ! اللهم غفرا ؟ وأين ذهبوا يا مولاى ؟.

الملك : ذهبوا ... أحدهم إلى بيته ..

غالياس : بيته ؟!

الملك : هكذا قال ! والثانى إلى غنمه التى ترعى الكلأ ..

غالياس : والثالث ؟

الملك : الثالث راح يحلق ...

(لا يكاد المؤدب يفتح فاه عجباً حتى تسمع

صيحات هلع نسوية خارج البهو) .

غالياس : ما هذا ؟

الملك : هذا هو ثالثهم ... انطلق فى القصر على ما أرى يرعب من صادفه من الحاشية . أسرع إليه يا غالياس وقُدْه إلى منزل الضيوف وأوص به الخدم والعبيد . (**المؤدب يخرج سريعاً ويتهيأ الملك للانصراف ، وإذا مرنوش يظهر بغتة أمامه عائداً وحده**) . ربَّاه ! (**يتراجع**) . إلَىَّ يا غالياس !

مرنوش : مولاى ! أتأذن لى بكلمة . إنك قلت الساعة إن حاجاتنا عندك مقضية ، وقد أذنت لى الآن فى الذهاب إلى بيتى . غير أنى عند خروجى تذكرتُ أنى سأدخل على امرأتى وولدى خالى الوفاض وهما يحسبان أنى على سفر هذا الأسبوع . وتذكرت أنى منذ عام كان قد أوفدنى دقيانوس إلى الأقاليم ، فغبت عن بيتى أربعة أيام ، فلما عدت حملت معى إلى ولدى من الهدايا ما سرَّ به سروراً . حتى إنه قال : « ليتك تسافر

كل يوم يا أبتى » ولا ريب عندى أنه يتعزى عن غيبتى بما يحسبنى سأحمله إليه من هدية ، وليت معى نقوداً يا مولاى غير نقود دقيانوس هذه التى بطل استعمالها منذ ولايتك الميمونة .

الملك : (**يتجه إلى الباب الذى خرج منه المؤدب**) غالياس !.

مرنوش : (**متأملا المكان ثم ثياب الملك**) مولاى ، أصبت والله بتعجيل هذا التغيير فى الملبس والمظهر عما كان عليه الحال فى حكم الوثنى دقيانوس ، حتى يتميز حكمك المسيحى عن حكمه ... نعم ما أحسن ملابس الناس الآن ، ولكن أعجب من ذلك أن يتم لك هذا كله فى بضعة أيام . ثم هذا الطريق الذى ساروا بنا فيه اليوم من الكهف إلى القصر ؛ لقد تغير كثيراً ولبس حلة من التنسيق لم تكن عليه الأسبوع الماضى ...

الملك : (**متلفتاً إلى الباب**) يا غالياس ، أقدم يا غالياس .

غالياس : (**من الخارج**) لبيك يا مولاى !. (**يدخل مهرولا**)

مولاى !

الملك : (**يشير إلى مرنوش**) إنك تستطيع أن تفهم ما يقول القديس !

غالياس : (**يلتفت إلى مرنوش وينحنى فى خضوع وخشوع**)
يا من تظله هالة النور ! لقد ظهرت على الرحب بعد طول انتظار ، قضته الروم فى قلق ترقب عودتكم ، لا تقنط ولا تملّ ، وقد ربط الله على قلبها بالإيمان ...
(**مرنوش يتفرس فى غالياس مرتاباً بعقله ، ولكن غالياس يمضى قائلا :**) غير أن الجميل فى هذا أن يكون ظهوركم فى عصرنا نحن . كأنما قد خصصتم مليكنا السعيد دون من سبقوه وآثرتم شعبه الكريم بشرف مرآكم العظيم ...

مرنوش : (**لنفسه**) أقسم بالمسيح أن هذا معتوه !

الملك : (**هامساً للمؤدب**) كل هذا قلته أنا قبلك . سله عما يريد الآن .

غالياس : يريد ؟ وهل يريد إلا العزلة والخلو إلى الله !

يا مولاى ؟ فلأفعلن به ما فعلت بصاحبه ، أسير به إلى منزل الضيوف وأوصى به الخدم والعبيد أن يعنوا بقضاء حاجاته ويأتمروا بأوامره المقدسة .

(**لمرنوش**) هلم يا صفىَّ الله !

مرنوش : (**لا يتحرك**) إلى أين ؟

غالياس : إلى صومعتك الشريفة ... (**يريد أن يأخذ بيده**) .

مرنوش : (**يدفعه عنه ويلتفت إلى الملك**) مولاى ... أوَ تترك علىَّ هذا المجنون ! (**الملك وغالياس يتبادلان النظرات ويدنو أحدهما من الآخر**) مولاى ! إنى أنتظر أمرك لأذهب إلى بيتى .

الملك : (**هامساً**) أسمعت يا غالياس ... أسمعت ..؟

مرنوش : (**فى تردد**) وإنى أنتظر ... برِّك بعبدك الأمين وبيته .

الملك : (**هامساً**) ما تقول فى هذا يا غالياس ؟

غالياس : (**يتقدم متشجعاً إلى مرنوش**) أيها القديس ! إنا نعرف أين بيتك .. لكن نسألك ضارعين ألا تفارقنا إليه الساعة .

مرنوش : (**دهشاً**) تعرف أين بيتى !

غالياس : (**يلتفت إلى الملك فى شىء من الزهو كأنما استطاع أخيراً أن يتصل بالقديس**) نعم ! وهل يجهل مثلى مكانه ؟

مرنوش : (**متعجباً**) عجباً ! وكيف استطعت أنت أن تعرف مكانه ، ولم أبح قط بسر بيتى لغير الأخصاء !؟

غالياس : أوَ لستُ من الأخصاء يا صفىّ الله وأنا الذى ابيض شعره فى ذكركم !

مرنوش : أنت أيها الرجل ؟؟ إنى لم أرك إلا اليوم ؟!

غالياس : نعم . هذا شرف عظيم ما كنت أحلم به يوما ، وأنا أذكركم وأرقب عودتكم وأطلب القربى من سرّ بيتكم .

مرنوش : سر بيتى ؟ أخبرنى كيف عرفت هذا السر .. أريد أن أعرف من أخبرك بسر بيتى ؟

غالياس : (**فى صوت عميق حار**) الإيمان .

مرنوش : اسمع أيها الشيخ ! سواء أكان الإيمان كما تقول أم غيره ،

أريد الآن أن أعرف منك أين بيتى ؟ فى أى موضع ؟
إن كنتَ صادقا ، فى أية ناحية ؟ فى أية جهة ؟..

غالياس : (**فى صوت عميق**) فى السماء .

مرنوش : (**ناظراً إلى الملك وكأنما يخاطب نفسه**) ألم أقسم بأن
هذا الشيخ مصاب فى عقله !

الملك : (**همسا للمؤدب**) ابق أنت هنا يا غالياس .

(**يتحرك الملك**)

غالياس : (**همساً**) أتذهب يا مولاى وتتركنى ؟...

(**يهم الملك بالذهاب وإذا بصوت مختنق يدنـو ،
ويبدو يمليخا فجأة فيرتد الملك إلى جوار غالياس**) .

يمليخا : (**داخلا فى حال مضطربة**) مرنوش ! مشلينيا ! أين
أنتما ؟ (**يقع على ركبتيه بجوار مرنوش**) .

مرنوش : (**دهشاً**) ماذا دهاك ؟

يمليخا : (**يشير إلى الملك وغالياس**) ويلاه ! أكنت تخاطب
هذه المخلوقات ؟!

(الملك وغالياس يتبادلان النظر ويرتدان حتى يبلغا أقرب باب) .

مرنوش : أجننت يا يمليخا ؟! **(يشير له إلى الملك وغالياس)** هذا الملك وهذا الشيخ المعتوه . **(عندئذ يخرج الملك والمؤدب فى رفق من الباب ويتركان القديسين !!) .**

يمليخا : أين مشلينيا ؟ أين مشلينيا ؟

مرنوش : ما بكَ يا يمليخا ؟

يمليخا : ادع مشلينيا على عجل ! ولنذهب .. ولنذهب ...

مرنوش : إلى أين نذهب ؟!

يمليخا : إلى الكهف . ثلاثتنا وقطمير معنا كما كنا .

مرنوش : لماذا ! ماذا فعلت ؟ ماذا حدث ؟

يمليخا : إلى الكهف . ثلاثتنا وقطمير معنا كما كنا .

مرنوش : لِمَ يا يمليخا ؟ أجب .

يمليخا : هذا العالم ليس عالمنا ... هذا ليس عالمنا .

مرنوش : ماذا تعنى ؟

يمليخا : أتدرى كم لبثنا فى الكهف ؟

مرنوش : أسبوعا . (**يمليخا يضحك ضحكات عصبية هائلة**) شهراً على حسابك الخرافى ؟

يمليخا : (**على نحو مخيف**) مرنوش ، إنا موتى ! إنا أشباح ..!

مرنوش : ما هذا الكلام يا يمليخا ؟

يمليخا : ثلثمائة عام ! تخيل هذا ؟ ثلثمائة عام لبثناها فى الكهف !!

مرنوش : مسكين أيها الفتى !

يمليخا : هذا الفتى عمره نيف وثلثمائة عام ! لقد مات دقيانوس منذ ثلثمائة عام ! وعالمنا باد منذ ثلاثة قرون !.

مرنوش : عالمنا باد ؟ وأين نحن إذن ؟

يمليخا : هذا الذى نرى دنيا أخرى ليست لنا بها صلة .

مرنوش : أشربتَ شيئًا يا يمليخا ؟

يمليخا : لستُ بشارب ولا بمجنون . إنى أقول لك الحقيقة . اخرج وطف بهذه المدينة وأنت تفهم .

مرنوش : أفهم ماذا ؟

يمليخا : تفهم أننا لا ينبغي لنا أن نمكث بين هؤلاء الناس لحظة واحدة .

مرنوش : ما الذى يخيفك من هؤلاء الناس يا يمليخا ؟ أليسوا بشراً ؟ أليسوا من الروم ؟

يمليخا : كلا ، إنهم ناس لا يمكن أن نفهم من هم ولا يمكن أن يفهموا من نحن ..

مرنوش : وما يضيرك ؟ تجنبهم وامكث بين أهلك .. (**متذكرا**) ولكنك ذكرت لنا أن ليس لك أهل يا يمليخا .

يمليخا : وإن كان لى أهل . فهل تحسبنى واجدهم بعد ثلثمائة سنة ؟!

مرنوش : (**فى رعدة**) ماذا تقول أيها الشقى ؟!

يمليخا : (**فى صوت كالعويل**) أجل . إنا أشقياء .. أشقياء .. نحن ثلاثتنا وقطمير معنا . لا أمل لنا الآن فى الحياة إلا فى الكهف . فلنعد إلى الكهف . هلم يا مرنوش ! ليس لبعضنا الآن سميع ولا مجيب إلا

البعض . هلموا بنا . رحمة بى ! إنى أموت إن مكثت هنا .

مرنوش : أنت جننت أيها المسكين !

يمليخا : لست بمجنون ... إلى الكهف .. الكهف كل ما نملك من مقر فى هذا الوجود ! الكهف هو الحلقة التى تصلنا بعالمنا المفقود !

مرنوش : (**مفكراً فى اضطراب**) أيستطيع العقل البشرى تصور ما تقول !. إنك ولا ريب صادفت مَن لعب بك ، أو شُبِّهَ لك .

يمليخا : لم يشبه لى ، لقد سمعت الناس بأذنى تقول ذلك . وهذا كل ما فهمت منهم .. من هذه المخلوقات . وأنت يا مرنوش ! أفهمت من هذه المخلوقات شيئاً ؟ أجب ! ثم هذه الملابس العجيبة ، وهذه التغييرات ، والمدينة المقلوبة رأساً على عقب . اخرج وانظر ! مدينة طرسوس لن تعرفها ولن تتبينها .

مرنوش : (**يتفكر لحظة**) صدقت قليلا فى هذا .. لكن ..

يمليخا : لكن ماذا ؟ أليست لنا عقول ؟ إن هذا التغيير كله والتبديل فى كل شىء حولنا لا يمكن أن يحدث فى شهر ولا فى عام .

مرنوش : حقيقة لست أفهم كثيراً ...

يمليخا : أرأيت ؟ إنك لم تفهم شيئاً مما حولك . لأن بيننا وبينهم ثلثمائة عام !

مرنوش : ثلثمائة عام ؟!

يمليخا : نعم ...

مرنوش : ما تقول يا يمليخا لا يمكن أن يتخيله عقل بشر . وإنى لأتساءل إذ أعدّك بعدُ عاقلا ، وأنت تقول جادًّا هذا الكلام . أتستطيع حقاً أن تعتقد أننا نمنا فى الكهف أكثر من ثلاث ليال ؟

يمليخا : إننا نمنا أكثر من ثلاثمائة سنة .

مرنوش : صه ! كفى ...

يمليخا : لقد دهشت مثلك يا مرنوش. لكنه الواقع. وعما قليل يثبت لك أنَّا لبثنا فى الكهف هذا القدر من الأعوام.

مرنوش : أيتها السموات ، أعطيني العقل الذى أستطيع به تصور ما يتفوه به هذا المغرور ! إنك جننت يا يمليخا . هذا كل ما فى الأمر .

يمليخا : إنى أروى الحقيقة .

مرنوش : (**يتفكر فى جهد**) إنك ستجنّنى معك . كلا ليس فى طاقة رأسى تصور هذا . فليبلغ ما بيننا وبينهم ما بلغ . ماذا تريد الآن ؟

يمليخا : الكهف !

مرنوش : أتريد أن ندفن أنفسنا أحياء فى الكهف ؟

يمليخا : نعم فلنذهب إلى عالمنا ...

مرنوش : اذهب أنت .

يمليخا : وأنت يا مرنوش ؟

مرنوش : أنا لى أهل وبيت وولد ينتظروننى . (**يمليخا يضحك ضحكة رهيبة**) ما يضحكك هكذا ؟ أبك مسٌّ ؟

يمليخا : ثلثمائة عام ! أنسيت ؟

مرنوش : (**فى ضيق**) نعم ثلثمائة عام . فلتكن قلت لك ثلثمائة أو

أربعمائة عام ! ماذا يضيرنى ؟ وماذا يغير هذا من حياتى ؟ إننا الآن أحياء . أتنكر أيضاً أننا أحياء فى هذه اللحظة ؟ وأننا خرجنا من الكهف أحياء بعد تلك الليلة الهائلة ؟

يمليخا : إنها ليست ليلة واحدة — قلت لك — بل أعواماً .!.

مرنوش : (**يصيح**) إن لى عقلا قبل كل شىء . إن لى عقلا !. ها هو ذا فى رأسى أحس وجوده . وهذا الكلام الذى تقول ينكره هذا العقل .

يمليخا : (**يسمع حركة فيجفل**) من القادم ؟ إنهم آتون .

مرنوش : (**ناظراً إليه**) لماذا تخاف منهم هكذا ؟

يمليخا : (**كالهامس**) لست أحبهم .

مرنوش : الآن ، لا ريب عندى أن ليلة الكهف المخيفة قد أثرت فى عقلك يا يمليخا !

(**يظهر مشلينيا وقد حلق لحيته وشاربه ، وارتدى ثيابًا كثياب العصر وغدا فتى جميلا**) .

يمليخا : (**ممسكا بمرنوش خوفا ومشيراً إلى مشلينيا**) هـذا

واحد منهم ، انظر ...

مرنوش : (**ملتفتاً**) من هذا ؟

مشلينيا : (**باسماً**) عجباً ! ألم تغيرا بعد ما أنتما عليه من هيئة زرية وثياب أثرية ؟

مرنوش : (**محدقاً فيه**) هذا أنت يا مشلينيا ؟!

مشلينيا : (**باسماً**) كما ترى . (**يمليخا يلمس أطراف ثوب مشلينيا مستطلعاً**) أيعجبك الثوب يا يمليخا ؟

مرنوش : (**وهو يستطلع كذلك ويتأمل مشلينيا**) حدثنا كيف استطعت أن تنقلب هذا المنقلب ؟!

مشلينيا : (**باسما منشرحا**) الأمر بسيط . طلبت إلى الخدم والعبيد أن يأتونى بموسى أحلق ذقنى وشعرى فلبوا الأمر ... ولكن ...

مرنوش : ولكن ... ؟

مشلينيا : ولكن طفقوا يتغامزون ويتلامزون ، وكأن بهم رهبة ، فصرت بهم ألاطفهم وأستدرجهم وهم فرقون ، حتى استطعت أخيراً أن أعلم منهم العجب العجاب .

أتدريان كم لبثنا فى الغار ؟

مرنوش : أعلمت أنت أيضاً ؟

مشلينيا : أوَ تعلمان ؟

مرنوش : (**فى تردد**) ثلثمائة ، أم أكثر ؟

مشلينيا : من أخبركما ؟

يمليخا : (**صائحا بمرنوش**) أرأيت ؟ أصدقتنى الآن ؟

مرنوش : (**لمشلينيا**) أوَ تستطيع أن تتخيل هذا يا مشلينيا ؟

مشلينيا : لقد اتهمتهم بالجنون .

مرنوش : (**ليمليخا**) أسمعت أيها الراعى ؟

يمليخا : (**فى قوة**) أقسم بالمسيح ...

مشلينيا : لا حاجة لنا بقسمك . إنى مصدقك يا يمليخا ، كما صدقتُ أخيراً أولئك العبيد .

مرنوش : أوَ صدَّقت ؟

مشلينيا : ولم لا أصدق ؟ كل شىء سواء ما دامت هى ...

مرنوش : أصبت . وماذا صنعت بعدئذ ؟

مشلينيا : لا شىء . طلبت إليهم أن يأتونى بثياب حديثة

وأسرعت فخلعت ثيابى العتيقة .

مرنوش : حسنا فعلت . إن من السهل أن ألحظ ما أوحى إليك بهذا التزين والتجمل أيها الخبيث ! كل هذا من أجل ...

مشلينيا : (**فى فرح**) أرأيتها يا مرنوش ؟إذ كانت هنا الساعة ؟

مرنوش : نعم ... (**يشرد لحظة ثم يقول**) أنا كذلك يا مشلينيا أحب أن أفعل فعلك .

مشلينيا : (**باسما**) تريد التزين والتجمل !!

مرنوش : بل شيئا من النظافة وحسن الهيئة أدخل بهما على أهلى .

مشلينيا : (**ملتفتا إلى الراعى**) ويمليخا كذلك ؟

يمليخا : (**فى صوت باك رهيب**) دعا يمليخا فى شأنه ... أيها الفتيان ! إن يمليخا عمره ثلثمائة عام !!

مشلينيا : مسكين يا يمليخا ، ونحن إذن ؟

يمليخا : أنتما محبان .

مشلينيا : أوَ ليس للمحب عمر ؟

مرنوش : (**لمشلينيا**) دع يمليخا كما قال لك . لمن تريده يلبس

ويتزين ؟

مشلينيا : صدقت ، إنه لا أهل له .

يمليخا : (**ذاهبا فى كآبة**) أستودعكما الله والمسيح !

مشلينيا : إلى أين ذاهب ؟

يمليخا : (**ذاهبا فى كآبة**) إلى الكهف .

مشلينيا : ويحك ! ماذا تصنع فى الكهف ؟

مرنوش : إن يمليخا يزعم أن الحياة مستحيلة بين هؤلاء الناس .

مشلينيا : (**ملتفتا إلى يمليخا**) لماذا ؟

مرنوش : ويزعم أننا لا يمكن أن نتصل بهم ولا أن يتصلوا هم بنا ...

مشلينيا : ماذا دهاه ؟

مرنوش : بل أكثر من ذلك ... يرهبهم وينظر إليهم كأنهم مخلوقات عالم آخر ... ويتصور هذه المدينة دنيا لم يسبق له بها عهد ...

مشلينيا : (**يمليخا الصامت المطرق**) لماذا كل هذا يا يمليخا ؟

(**يمليخا لا يجيب**) .

مرنوش : وهل لهذا من سبب إلا أنه مخرف أحمق !

مشلينيا : لماذا يا يمليخا لا تنظر إلى الحياة وإلى الأشياء كما ننظر إليها نحن ؟ أترهبك كلمة ثلثمائة سنة ! فليكن مبلغها ما يكون . إننا فى الحياة قبل كل شىء . إننا نعيش ونحس ونشعر ...

مرنوش : هذا عين ما قلته له . إننا نحس ونشعر ونعقل . وليس لدينا العقل الذى يصدق أن ليلة الكهف تمخضت وولدت ثلثمائة عام . وإذا كان هو يملك هذا العقل فعقله ولا ريب من طراز آخر أدق من طراز عقولنا !

مشلينيا : أجبنى يا يمليخا ! ما الذى يجعلك تختلف هنا فى هذا ؟ ومع ذلك ، هب أننا نمنا ما شئتَ من أعوام ؟ فماذا يغير هذا من حياتنا الآن ؟ ألسنا فى الحياة ... نحمل قلوبا وآمالا ؟

مرنوش : فلنتفكر معا قليلا يا مشلينيا ! أيمكن لأى عقل أن يتصور هذا ؟

مشلينيا : مستحيل !

مرنوش : وإن ظهر أن هذا حقيقى ، أليس معناه الجنون لنا جميعا ؟ اعترف !

مشلينيا : أعترف أن لا شيء يستطيع أن يغير من حياتى الحاضرة أو المستقبلة .

مرنوش : ولا أنا كذلك .

مشلينيا : وأنت يا يمليخا ؟ ماذا يغير أمر كهذا من حياتك ؟ ولماذا يختلف الآن إحساسك بالحياة عن إحساسنا ؟ (**يمليخا لا يجيب**) يمليخا ؟ ألا تسمعنى ؟ ألا تجيب عن سؤالى ؟

يمليخا : بالله لا تسألنى الآن شيئا .

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : تكلم يا يمليخا !

يمليخا : (**فى حدة**) قلت لكما لا تسألانى الآن شيئا (**بعد لحظة بينما ينظران إليه فى وجوم**) لقد صرتما أنتما غريبين عنى منذ قليل . أنتما البقية الباقية بعد أن مضى كل شيء كحلم . وانطفأت عصور وأجيال فى شبه

ليلة واحدة . آه لو تعلمان أيها الأعميان ما رأيت الآن في شارع بطرسوس إن كانت هذه بعدُ مدينة طرسوس ! لو رأيتماني وقد أحاطت بي ناس في ثياب غريبة وعلى وجوههم ملامح عجيبة وهم ينظرون إليّ نظرات كاد قلبي ينخلع منها . وكأنهم يتفحصون أمري تفحص من يحسبني من عالم الجن . وأينما سرتُ فهم في أثري بنظراتهم المستطلعة الحذرة . لا أستطيع مخاطبة أحد منهم ؛ وإن فعلت فلا أحسبني أجد مجيبا بل نظرات صامتة فزعة . يخيل إليَّ أني أموت جوعا قبل أن يمد إليَّ أحدهم يده بطعام . إنهم يظنونني ولا ريب من خلقة لا تأكل ولا تشرب ... ولا شك أني إن أردت سكنا فلن يسكننْي أحد بجواره . وإن هبطت مكانا فالكل هاربون وتاركوه لي لينظروا إليَّ عن كثب بعيونهم المستطلعة الحذرة التي لا تتغير نظراتها ... بل إني سمعت أثناء هذا نباحا خافتاً مخنوقا فانتبهت فألفيت كلبي قطميرا كذلك قد أحاطت به كلاب المدينة ترمقه وتشمه كأنه

حيوان عجيب وهو يحاول الخلاص من خناقها ولا يجد إلى ذلك سبيلا . وجرى المسكين أخيراً إلى جدار قريب ووقع تحته إعياء ورعباً . والكلاب فى أثره ، حتى وقفت منه على قيد خطوة تعيد النظر إليه ، ويريد بعضها الدنو منه لمعاودة شمه فيقصيه الحذر ... هذا أنا وهذا كلبى قطمير فى هذه الحياة الجديدة ! أما أنتما فأعميان لا تبصران ! أعماكما الحب . فلا أستطيع بعد الآن أن أريكما ما أرى ! ابقيا إذن ما شئتما فى هذا العالم لقد صرت وحيداً فيه . وليس يربطنى إليه سبب . ولئن كنتما لم تحسا بعدُ الهرم فإنى بدأت أحس وقر ثلثمائة عام ترزح تحتها نفسى ... الوداع يا إخوان الماضى ! اذكرا عهدنا الجميل ... عهد دقيانوس ! والآن ... أستودعكما الله هانئين بشباب قلبيكما فى حياتكما الجديدة ... (**يذهب فى بطء وكآبة على حين تتبعه أنظار مشلينيا ومرنوش فى صمت حتى يختفى** ...) .

الفصل الثالث

(منظر الفصل الثانى عينه : بهو الأعمدة . مشلينيا ينتظر نافد الصبر بين العمد . الوقت ليل والمكان مضىء . يظهر غالياس فى حذر ...)

مشلينيا : (**يهرع نحو غالياس فى اهتمام**) ماوراءك ؟
(**غالياس يطرق فى خشوع**) أين الأميرة ؟

غالياس : (**فى تردد ورعدة**) أيها القديس !

مشلينيا : أوَ لم تخبرها بما قلت لك ؟

غالياس : نعم ... نعم ...

مشلينيا : وبماذا أجابت ؟

غالياس : لا شىء ... أيها القديس !...

مشلينيا : لا شيء ؟! ألم تقل لها إنى أطلب رؤيتها منذ البارحة ولا أجد إليها سبيلا . وإنه لا بد لى من رؤيتها الليلة مهما يكن من أمر !

غالياس : أيها القديس !.

مشلينيا : (**فى سأم وضيق**) دعنى من « أيها القديس » . أخبرنى أنتَ ماذا قالت . أخبرنى بالله ... تكلم ...

غالياس : (**مطرقا فى خشية**) أيها القديس ...

مشلينيا : (**ضيق الذرع**) قلت لك دعنى من هذا القديس ، لا تنادنى به بعد الآن ، أتوسل إليك . إنى لست قديساً ... أفاهم ...؟

غالياس : (**مطرقا فى خوف**) نعم ... أيها القديس .

مشلينيا : (**يتفرس فيه**) عجباً ! إن هذا الرجل أحمق ولا شك . ماذا تصنع أنت فى القصر ؟ (**غالياس لا يحير جواباً**) أجب ماذا تصنع هنا ؟

غالياس : مؤدب الأميرة ...

مشلينيا : مؤدب ؟ ومؤدب الأميرة ؟! منذ متى ؟ إنى لم أرك فى القصر إلا أمس ؟!

غالياس : أيها القديس ... إنى ... إنى ...

مشلينيا : وبعد ؟ أفلا نفع يرجى منك أيها الأبلة ؟ أفلا تستطيع أن تخبرنى بشىء عن الأميرة ؟ (**كأنما يخاطب نفسه**) أتراها تقصد إساءتى والإغضاء عنى لأمر فى نفسها ؟! أم ماذا ياربى ؟ وأنتَ أيها الشيخ ألا تعاوننى قليلا ؟ (**غالياس مطرق وكأنه لا يفهم**) اذهب ! اذهب أيها الرجل ! لا أفلحت ...!

غالياس : (**فى خشوع وهو يريد الخروج**) أيها القديس ...

مشلينيا : أكاد أجن جنوناً . إنى بقربها ولا أراها . وهذه الوحدة حولى تكاد تقتلنى قتلا . لو أن هنا مرنوش على الأقل (**كمن تذكر**) قف أيها المؤدب ! كلمة ! (**غالياس يقف خاشعاً**) ألم

يأت من مرنوش خبر منذ ذهب إلى بيته أمس ؟

غالياس : لست أدرى ... أيها القديس ...

مشلينيا : أوَ لم يعد بعد حتى العبد الذى رافقه وحمل له الهدايا ؟

غالياس : لست أدرى ... أيها القديس ...

مشلينيا : أنت لا تدرى شيئاً أيها المؤدب ! (**كأنما يخاطب نفسه**) ها هو ذا مرنوش قد أنساه ولده وامرأته كل شيء فى الوجود . وها أنذا لم أزل كما جئت بالأمس فى تربص وانتظار على غير جدوى .!. أأستطيع أن أبيت تحت سقف هذا القصر ليلة أخرى و لم أكلمها بعد ؟ أيها الرجل ... أين هى فى هذه اللحظة ؟!

غالياس : من ؟ أيها القديس ؟

مشلينيا : (**فى حدة**) الأميرة ؟

غالياس : عند الملك ...

مشلينيا : عجباً ! وما تراها تصنع عند الملك فى مثل هذه

الساعة من الليل ؟!

غالياس : أيها القديس ... إن ...

مشلينيا : (**فى قوة**) تكلم ...

غالياس : إن الملك إذا أرق طلبها لتقرأ له ...

مشلينيا : (**شبه ثائر**) فى مخدعه الخاص ؟ هذا الرجل الغريب عنها ؟! فهمتُ فهمت . أهذا هو العهد المقدس ... !

غالياس : (**جاثياً**) أيها القديس ! أيها القديس ! مغفرة ! إن الأميرة مسيحية كمن تحمل اسمها وحافظة للعهد المقدس .

مشلينيا : (**دهشاً قليلا**) كيف علمتَ ذلك ؟

غالياس : إنى أعرف الأميرة أيها القديس ...

مشلينيا : (**فى رفق**) أهى قالت لك عن ...

غالياس : نعم أيها القديس نعم ...

مشلينيا : (**فى لطف آخذاً بيده**) تعال يا ... ما اسمك أيها المؤدب ؟

غالياس : غالياس أيها القديس !

مشلينيا : تعال يا غالياس ! ولنتفاهم ... إنى أراك تكتم عنى أموراً ... وتهابنى وتجعل بينك وبينى حاجزاً أكثر مما ينبغى . لِمَ لا يفهم أحدنا الآخر ؟ ما أيسر هذا لو أنك فتحت لى صدرك قليلا ، وفتحتُ لك نفسى ... (**غالياس يحملق فيه**) لماذا تنظر إلَّى هكذا ؟ ألست مثلكم ؟ انظر إلى ثيابى ! ما الذى يجعلنى إذن غريباً فى عينيك ؟ (**بعد لحظة**) أأنت واثق أن بريسكا حافظة للعهد ؟

غالياس : ثقتى بأنك ولى الله الحق .

مشلينيا : دعنا من هذا الآن يا ... غاليـــاس ... أخبرنى كيف سلوكها مع وصيها ؟...

غالياس : (**غير فاهم**) وصيها ؟ من أيها القديس ؟!...

مشلينيا : هذا الملك .

غالياس : هذا الملك أشد الملوك تمسكا بالمسيحية أيها القديس وأكثرهم إيماناً بالله الواحد !

مشلينيا : (**فى ضيق**) لست أسأل عن هذا أيها الأحمق ! (**غالياس يطرق خوفا**) إن هذا الملك ليس من دم دقيانوس فيما أظن ؟

غالياس : دقيانوس ؟ دقيانوس الوثنى ! حاشا لله أن يكون ملكنا من دم ذلك المشرك الطاغية الذى لعنه التاريخ ؟!

مشلينيا : هذا ما أقول يا غالياس ... نعم ... إن هذا الملك ليس من أسرة دقيانوس لأنى لم أره من قبل ... ولعله من القواد المسيحيين سرا ؛ جاء بجيشه فقلب دقيانوس فى يومين وجلس على العرش مكانه ، ونصب نفسه قيماً على بريسكا ، كل هذا حسن . ولكن ... أن يستبيح لنفسه طلبها إلى مخدع نومه ليلا لتقرأ له كما تقول ... (**يبدو على غالياس عدم الفهم**) ولكن هى لماذا تجيبه إلى طلبه ؟ أخوفا ومداراة ؟ أم مباسطة ورضاء ؟ ثم هذا الإعراض عنى ! آه يا غالياس ... يا غالياس

(**يمسك بعنق غالياس**) ويلكم منى إن كان ما أفهم صحيحا ! وويلها وويل نفسى إن كانت خائنة للعهد !.

غالياس : (**يجثو**) أيها القديس إنها حافظة للعهد كجدتها القديسة . سل العراف . لو أن العراف على قيد الحياة ؟ لقد قال إنها تشبه جدتها فى كل شىء .

مشلينيا : تشبه جدتها ... جدتها من ؟

غالياس : بريسكا ... القديسة بريسكا ...

مشلينيا : ما هذا الخرف أيها الشيخ الهرم .

غالياس : إنى أقول الصدق أيها القديس . إن العراف يوم ميلادها قال ذلك .

مشلينيا : أى عراف ؟

غالياس : نعم العراف أيها القديس .

مشلينيا : مسكين أنت أيها الشيخ !. اذهب إلى فراشك فلا حاجة لى بك ... (**غالياس يتحرك**) بل اسمع أيها الرجل ... كلمة أخرى : الأميرة ولا شك

ستعود إلى مخدعها بعد أن تفرغ من مسامرة هذا الملك .

غالياس : نعم أيها القديس .

مشلينيا : وستمر طبعا بهذا البهو ؟

غالياس : نعم أيها القديس .

مشلينيا : حسن . اذهب أنت ... ليس لى بك حاجة الآن ؟ (**غالياس يخرج**) فلأ نتظرنها طول الليل ! (**يمشى فى البهو منتظرا ثم يسمع أنينا يدنو**) ما هذا الأنين ؟

مرنوش : (**يئن فى الخارج**) مشلينيا !... مشلـ...ينـ...يا ...

مشلينيا : (**فى خوف**) من ينادينى ؟.

مرنوش : (**داخلا**) مشليـ...نيا ...!.

مشلينيا : مرنوش !

(**يدخل مرنوش فى ثياب حديثة كثياب مشلينيا وقد حلق مثله**) .

مرنوش : (**وهو يجر جسمه جرا ويئن متوجعا**) مشلينيا ؟...

مشلينيا : (**ذاهبا إليه ومسندا إياه**) ماذا بك ؟.

مرنوش : مشلينيا !...

مشلينيا : ما بك يا مرنوش ؟

مرنوش : (**يقع رأسه على صدر مشلينيا**) ولدى ...

مشلينيا : ماذا بولدك ؟.

مرنوش : (**فى أنين**) مات ...

مشلينيا : (**فى جزع**) ماذا تقول ... ؟

مرنوش : ما ... ت ...

مشلينيا : متى ؟.

مرنوش : ما ...ت .

مشلينيا : (**بعد لحظة**) لا تجزع هكذا ! عد إلى نفسك قليلا ، وقص علىّ ما حدث !.

مرنوش : مات ...

مشلينيا : مرنوش ؟ ألا تسمع لى ؟ قلت لك انتبه إلىّ قليلا وحدثنى بما رأيت علنى أستطيع بعض التخفيف عنك ... (**مرنوش لا يجيب**) مرنوش ! (**يهزه**

برفق) أهكذا فقدتَ كل قوة وكل أمل وصرت شيئا لا يصلح لشيء ؟ ثم كيف تركت امرأتك وجئت فى مثل هذه الساعة ، لعلها محتاجة إليك !

مرنوش : ماتت ...

مشلينيا : من ؟ هى أيضا ؟ (**مرنوش لا يجيب**) امرأتك كذلك ؟...

مرنوش : ماتت ...

مشلينيا : متى ؟ وكيف ؟ حدثنى بالله يا مرنوش !...

مرنوش : مشليـ...نيا ...

مشلينيا : نعم ... تكلم ...

مرنوش : مشلينيا .! مات أهلى يا مشلينيا ...

مشلينيا :(**يطرق**) .

مرنوش : مات أهلى يا مشلينيا ...

مشلينيا : لا تجزع .! املك نفسك يا مرنوش . أقتلا فى المذبحة ؟!.

مرنوش : أى مذبحة ؟.

مشلينيا : كيف ماتا إذن ؟.

مرنوش : لست أعلم ...

مشلينيا : ألم تسأل أحداً ؟.

مرنوش : لا أحد يعلم ...

مشلينيا : عجبا ! ومنزلك ، ألم تجد أثرا فى منزلك يدلك على شيء ؟

مرنوش : منزلى !! آه ... أين هو منزلى ؟!

مشلينيا : ألم تجد منزلك ؟.

مرنوش : وجدت مكانه سوقا للرماح والدروع !.

مشلينيا : عجباً ! ومن أخبرك إذن بموت أهلك ؟.

مرنوش : شحاذ هرم بالسوق ...

مشلينيا : ماذا قال لك هذا الشحاذ الهرم ؟.

مرنوش : قال إنه يذكر عن آبائه هذا الاسم ...

مشلينيا : أى اسم ؟ أكنت ذكرت له اسم أحد ؟

مرنوش : اسم ولدى ...

مشلينيا : فماذا أجاب ؟ (**مرنوش لا يحير جوابا**) تكلم

يا مرنوش بالله ! ماذا أجاب ؟.

مرنوش : مات ...

مشلينيا : ولدك ؟ أجاب بأن ولدك قد مات ؟.

مرنوش : وأخذ بيدى إلى المقابر وأرانى قبراً متهدما ...

مشلينيا : قبره ؟.

مرنوش : وقرأت بعينى أسطرا متآكلة ...

مشلينيا : ماذا قرأت ؟.

مرنوش : اسم ولدى ... ثم ...

مشلينيا : ثم ماذا ؟.

مرنوش : ثم عبارة لم أفهمها ...

مشلينيا : قلها ... قلها يا مرنوش ...

مرنوش : « مات شهيدا في سن الستين بعد أن جلب النصر لجيوش الروم » !.

مشلينيا : أهذا ما قرأت على حجر القبر !.

مرنوش : نعم .

مشلينيا : تريد أن تزعم أنت يا مرنوش ما زعم يمليخا أمس !.

مرنوش : لا شك عندى الآن ...

مشلينيا : أيها المسكين ! لقد جننت مثل يمليخا . هذا كل ما فى الأمر .

مرنوش : أنت لا ترى الحقيقة . ابنى مات فى سن الستين .

مشلينيا : هب أن هذا حدث ... أتبكيه اليوم يا مرنوش ؟ هب أنه مات فى سن الستين كما تزعم ، شريفا بعد أن عاش حياته شريفا ، وقاتل فى صفوف الأبطال وربما بلغ القيادة ومجد اسمه كما ترى . فماذا تريد لابنك أكثر من ذلك (**لنفسه**) يا له من كلام يتضاءل بجانبه هذيان الممرورين .

مرنوش : ولكنه مات . مات قبل أن يفرح بهديتى التى كنت أحملها إليه مع العبد !.

مشلينيا : أيها المسكين ! إنه لم يمت البارحة بل مات شيخا هرما بعد أن قضى حياة طويلة كلها سعادة وفخار !.

مرنوش : ولدى الصغير مات شيخا هرما ! أتسخر منى يا مشلينيا فى هذه الساعة ؟.

مشلينيا : إنى لا أسخر قط ... أنت الذى جئت تروى هذا الجنون . ماذا أصنع لك . وما دمت تصدق الآن يمليخا فلا ريب أن ولدك شب وكبر وسار فى حياته العادية آمنا مطمئناً ، ولعله تزوج وأتى بذرية صالحة من ذكور وإناث ... كل ذلك ونحن فى الكهف نائمون !

مرنوش : ذرية صالحة ؟ من هذا ؟ ولدى الصغير الذى كان ينتظر أوبتى بلعبة يلهو بها !

مشلينيا : أيها المسكين . أنت لا تستطيع أن تتصور ولدك إلا كما رأيته آخر مرة . ومهما تسمع عن الثلثمائة عام فهى كلمات وأرقام لا تغير شيئاً من صورة ولدك الصغير ... تلك الصورة المنطبعة فى مخيلتك ...

مرنوش : (**صائحا**) كفى هراءً ! كفى هراءً !. ولدى قد مات ولا شىء يربطنى الآن بهذا العالم !. هذا العالم المخيف . نعم صدق يمليخا .. هذه الحياة الجديدة لا مكان لنا فيها . وإن هذه المخلوقات لا تفهمنا ولا

نفهمها . هؤلاء الناس غرباء عنا . ولا تستطيع هذه الثياب التى نحاكيهم بها أن تجعلنا منهم . لقد عرفنى الناس من وجهى ومن كلامى برغم ثيابى فتبعونى أنا والعبد . وحتى العبد الذى نصبه الملك لخدمتى ما كان يفهم أغلب ما أقول ، وكان يبتعد عنى كأنى أجرب أو أبرص . ولقد صرنا نتخبط طول اليوم فى المدينة نسأل ونبحث واليأس والرجاء يقطعان قلبى ، والناس من حولى لا تفهم ما أريد ، ولا أسمع منهم إلا صياحا يتبعونه بإشارة إلَىَّ هامسين « هذا أحدهم ! هذا أحدهم ! تعالوا شاهدوا !. هذا أحدهم ! » . ثم المدينة ! أهى طرسوس ؟ مستحيل أن تكون طرسوس ! نعم يا مشلينيا . إنا بعيدون عن هذه المدينة وسكانها بمقدار ثلثمائة عام . وإن يمليخا لم يجنّ ولم يكذب . إنى الآن فقط أدرك هذه الحقيقة ... ثلثمائة عام مضت ، وها هو ذا عالم آخر يحيط بنا كأنه بحر زاخر لا نستطيع الحياة فيه ، كأننا سمك تغير ماؤه

فجأة من حلو إلى ملح ...

مشلينيا : لماذا لم تقل هذا الكلام أمس ؟ ألست أنتَ الساحر من يمليخا ؟

مرنوش : لقد صدق هذا الراعى .

مشلينيا : منذ متى ؟

مرنوش : مشلينيا ! لقد مات قلبى يا مشلينيا ولا فائدة منى بعد اليوم . تعال معى يا مشلينيا .!.

مشلينيا : إلى أين ؟

مرنوش : (**وهو يجذب يده**) إلى عالمنا نحن ...

مشلينيا : (**يسحب يده منه**) أمجنون أنت ؟

مرنوش : أتدعنى أذهب وحدى ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) مشلينيا .! أتتركنى أذهب وحدى ؟

مشلينيا : لا تذهب . ابق هنا .

مرنوش : لا أستطيع ...

مشلينيا : لماذا ؟ ما يمنعك ؟

مرنوش : لا أستطيع .

مشلينيا : بل تستطيع . لكنه اليأس والحزن على ولد مات منذ قرون فى سن الستين بعد حياة تامة ناضجة أيها الأحمق ! تريد أن تلحق به وأنت لم تعرف الستين بعد ! وأنت لم تزل فتى أمامك النضج والحياة !

مرنوش : (**ضارباً رأسه بيده**) أنا فتى وابنى شيخ ! تقول هذا الكلام فى بساطة كأن ليس لك عقل يعى ويضبط ما تقول ! آه ... إنك ستؤدى بى حتما إلى الجنون ...

مشلينيا : ماذا تريد ؟ إما أن كل هذا حقيقة وإما أن كل هذا خلط ، وأن ليلة الكهف المخيفة قد أثرت فى عقولنا ! وأغلب ظنى أن هذا ليس حقيقة ، فها هى ذى بريسكا موجودة كما فارقتها . ماذا تقول فى بريسكا يا مرنوش وقد رأيتها مثلى البارحة . أعاشت هى كذلك ثلثمائة عام !

مرنوش : بريسكا ؟ نعم صدقت ؟ لكن ابنى ؟ ماذا تقول فى ابنى ؟ كلا إن هذا حقيقة لا ريب فيها . إنك لم تر المدينة . إنك لم تر شيئا ... ! بريسكا ... ولدى !

رحماك اللهم ! سأفقد عقلى ! سأفقد عقلى !.

مشلينيا : (**رافعا رأس مرنوش**) لا تبك يا مرنوش ! ما فائدة بكاء ولدك الآن ؟

مرنوش : لست أبكي ولدى أيها الأحمق !

مشلينيا : إذن ، ما بكاؤك هذا ؟

مرنوش : عذاب ... عذاب آخر لا تفهمه أنت . يا ربى لماذا تركتنى فريسة للعقل ! ثلثمائة عام ! ابنى فى سن الستين وأنا فتى أمامى النضج والحياة ...

مشلينيا : لا تفكر فى هذا يا مرنوش . عد كما كنت أمس واسخر مما تسمع . هاته الأعوام الثلاثمائة أو أكثر منها ، إن هى إلا كلمات ، أعداد ، أرقام ، هب أنها مجرد ألفاظ وأرقام لا معنى لها كما كنت تفعل أمس ، ماذا تستطيع هذه الأرقام أن تغير من إحساسك بالحياة . هب كل ذلك صحيحا إنما أنت الآن فى الواقع أمام حياة ، وأنت لم تزل فتى . هب أنها حياة جديدة قد منحتها أتأباها ؟!

مرنوش : حياة جديدة ! ما نفعها ؟ إن مجرد الحياة لا قيمة لها . إن الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب لهى أقل من العدم ، بل ليس هناك قط عدم . ما العدم إلا حياة مطلقة .

مشلينيا : لست من رأيك يا مرنوش . إن أية حياة منحة . وأثمن منحة تعطى مخلوقا هى الحياة . ومع ذلك هذا كان رأيك فى الحياة أمس . فلماذا لا تعود إلى ما كنت عليه أمس .

مرنوش : هيهات ! هيهات !...

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : أمس كنت مثلك .

مشلينيا : مرنوش !

مرنوش : لأنى كنت أعيش فى حياة لها صلة ولها سبب ، هو القلب ، والقلب لا يخضع لناموس الزمن . فما كانت عندى مئات الأعوام إلا كلمات وأرقام !

مشلينيا : واليوم إذن ؟

مرنوش : مات .

مشلينيا : من ؟ ماذا ؟

مرنوش : (**مستمرا**) ولم يبق لى إلا العقل . فها أنذا للعقل وحده . وها هو ذا يعيدنى إلى عالمه ... عالم الزمان والمكان ...

مشلينيا : لست أفهم ...

مرنوش : نعم . مع الأسف . لست تفهم هذا الآن ...

مشلينيا : إنى أفهم أنك رجل متزن ولا تندفع إلى الهلاك وراء عاطفتك .

مرنوش : (**فى صوت جاف وهو يتحرك**) الوداع !...

مشلينيا : مرنوش ! أترانى لم أفهم قصدك ؟...

مرنوش : نعم ... الوداع ...

مشلينيا : امكث معى يا مرنوش . إنى فى حاجة إليك : لقد أنسيتنى ما أنا فيه . إن لدى أشياء كثيرة أريد أن أفضى بها إليك . أشياء عرفتها اليوم . أشياء حدثت وأريد معونتك . امكث يا مرنوش امكث !

مرنوش : لا أستطيع .

مشلينيا : (**متشبثا**) لماذا ؟ لماذا لا تستطيع يا مرنوش ! لماذا ؟

مرنوش : لقد قلت لك .

مشلينيا : ولدك ؟

مرنوش : (**ذاهبا**) الوداع ... أيها الأحمق !

مشلينيا : (**يستوقفه**) مرنوش . مرنوش ! أريد أن أفهم . إنى خائف . إنى أرى فى وجهك أشياء لا أدركها .

مرنوش : (**يخلص نفسه ليذهب**) ولن تدركها اليوم ...

مشلينيا : مرنوش ! لن تذهب قبل أن تقول لى ...

مرنوش : لقد قالها يمليخا .

مشلينيا : ماذا ؟

مرنوش : إنا أشباح .. إنا الآن مِلْك الزمن .

مشلينيا : (**فى تفكر وشىء من الارتجاف**) مرنوش ...!

مرنوش : إنَّا مِلْك التاريخ .. ولقد هربنا من التاريخ لننزل عائدين إلى الزمن .. فالتاريخ ينتقم !... الوداع يا مشلينيا ...! (**يخرج مرنوش ويترك مشلينيا**

ذاهلا) .

مشلينيا : رباه ! أخشى أن يكون حقيقة قد جُنَّ .. (**يبقى لحظة متأملا ذاهلا بلا حراك ثم تظهر بريسكا وحدها وبيدها كتاب)** .

الأميرة : (**تجتاز البهو وترى مشلينيا فتجفل**) آه .. من هنا ؟

مشلينيا : (**يستدير سريعاً ويلتفت إليها**) ها أنت ذى أخيراً يا بريسكا العزيزة !

الأميرة : (**يعقد الخوف لسانها فتقف كالتمثال**) !

مشلينيا : إنى أترقبك منذ وقت طويل .. (**الأميرة لا تجيب**) عجبا ! أهذا استقبالك لى ؟!. (**الأميرة لا تتحرك**) ما كنت ولا ريب تتوقعين رؤيتى الساعة ؟. (**لحظة صمت .. الأميرة ذاهلة**) بل ربما كنت لا تحبينها . بل لعلك ساخطة على المصادفة التى جاءت بك الآن إلى هذا المكان ، إنى أرى ذلك فى وجهكِ . لا بأس . بالرغم من هذا لا أكتمكِ أن مرآكِ فى هذه اللحظة قد صيرنى سعيداً .. سعيداً يا بريسكا إلى أقصى غاية ..

(**الأميرة فى دهش**) لماذا تنظرين إلىَّ هكــذا ؟
(**بريسكا لا تتحرك وينظر مشلينيا إلى ثيابه**)
أيدهشك شيء فى هيئتى ؟ ماذا ترين فىَّ ؟ قد تغير
(**بريسكا لا تجيب**) عجباً !. ألا تتكلمين ؟ ألا
تنطقين بحرف ؟ أليس لديك الآن ما تقولين لى !
أتريدين أن أظن بكِ ما ظننتُ الساعة . (**بريسكا لا
تتحرك**) (**مشلينيا يتقدم خطوة نحوها ، ويقول فى
شيء من الحدة**) تكلمى !. انطقى .! إنى لستُ بعد
قادراً على احتمال ما يحيط بكِ من صمت وغموض ..
تكلمى !.. تحدثى بشيء ..!

بريسكا : (**فى صوت خافت**) أيها القديس .

مشلينيا : أيها القديس ! أتتهكمين ؟ (**بريسكا لا تجيب**)
عدتِ إلى الصمت . أهذا كل ما عندك « أيها
القديس » ؟! لست قديساً أيتها العزيزة بريسكا .
وأنت تعرفين ذلك . ابحثى عن شيء آخر تقولينه .

بريسكا : (**فى دهشة**) لست قديساً ؟؟

مشلينيا : (**فى فتور**) كلا .

بريسكا : ألست القديس ذا المنظر المخيف الذى رأيته أمس هنا ؟

مشلينيا : إن كنتِ ترينني مخيف المنظر فأنا هو .

بريسكا : كلا . أنت لست مخيف المنظر .

مشلينيا : (**متصنعاً السذاجة فى غيظ مكتوم**) صحيح ؟؟!

بريسكا : (**تتأمل منظره**) إنك صرت شخصاً آخر . مخلوق أمس كان يبدو شيخاً أو على الأقل ذا شعر أشعث كشعر الشيخ ... أما أنت ...

مشلينيا : أما أنا .؟

بريسكا : فتبدو فتى .. إنك فتى .

مشلينيا : (**فى تهكم مر**) شيء جميل . ما أبرعكِ !

بريسكا : لماذا ؟

مشلينيا : (**فى تهكم وغيظ**) لأنك عرفتِ أنى فتى وأنى إنسان ... مرحى مرحى ! ما كنتُ أحسبك تعرفين من أمرى كل هذا المقدار .

بريسكا : لستُ أفهم ...

مشلينيا : أنا كذلك لستُ أفهم . إنى أعرف بريسكا بسيطة وديعة صافية النفس ، مؤمنة القلب ، طاهرة الضمير ، وما عرفتها قط قديرة على التصنع والتخابث والختل ...

بريسكا : أأنت تعرفنى إذن ؟

مشلينيا : بريسكا . احترسى . إن لصبرى حداً .

بريسكا : (**فى دهشة**) من أنتَ ؟ إنك تخاطبنى كما لو كنت تعرفنى من قبل . أو كما لو أنك لى بعل ؟!

مشلينيا : (**فى ألم**) شكراً لكِ .

بريسكا : ما بكَ ؟ (**مشلينيا لا يجيب**) إنى لم أقصد إغضابك يا هذا . لكن ...

مشلينيا : (**منفجراً**) وأنت تخاطبيننى كما لو أنكِ امرأة خائنة مرائية تريد أن تتجاهل ما سلف وتنقض عهودها المقدسة متوسلة بأخس الأسباب . ما كان أحراك أن تسلكى طريق الصراحة والصفاء وتواجهينى بالحقيقة بدل أن تنكرينى هذا الإنكار . أيتها الأميرة ، إنى

أعرف كل شيء ولم أتهدم بعد ، ولم تَمِدْ بى الأرض بعد ، ولم تنطبق السماوات . وها أنذا واقف أمامك قوياً محتملا لا أضعف ، عاقلا لم أجن . كم أنت مخطئة أن تظنى بى الضعف عن احتمال خبر خيانتك . إن القلب الذى امتلأ يوما بك ليستطيع أن ينبض بدونك على الأقل يوما أو يومين . إنى ما كنتُ أحسبنى بهذه القوة ، إنى لا أزعم أنى أستطيع أن أخلع من نفسى تلك التى كانت لى عقيدة أو أكثر من عقيدة ، ولا أن أشوِّه من ذاكرتى أجمل إحساس ارتفعت به نفس بشر ، ولكنى أستطيع أن أزعم أنى أعيش بعد كل هذا . نعم أعيش ... ألا ترين ؟ انظرى ها أنذا أعيش ! ها أنذا أعيش ! ها أنذا أعيش !

بريسكا : (**مأخوذة فى غير استنكار بل فى سرور خفى لا تدركه**) أأنتَ تخاطبنى أنا بكل هذا ؟؟؟ (**مشلينيا لا يجيب — بريسكا كأنما تخاطب نفسها**) هذا كلام لم يقله لى أحد من قبل ... إلا أنت اليوم ! ما أجملك

بطلا من أبطال المآسى الإغريقية التى كنتُ أطالعها خفية عن غالياس ، وأنا صغيرة .

مشلينيا : (**يتظاهر بالهدوء والفتور**) معذرة أيتها الأميرة . إنى ما قصدتُ بكلامى شيئاً سوى إبراء ذمتك ...

بريسكا : إبراء ذمتى ؟ ممَّ ؟...

مشلينيا : مما ارتبطتِ به من عهد .

بريسكا : أى عهد ؟؟

مشلينيا : (**فى هدوء**) أوَ لا تعرفين هذا أيضاً ؟! عهد الخطبة بيننا .

بريسكا : (**وهى تنظر إليه فى حسرة**) واأسفاه ! الآن لا شك عندى ...

مشلينيا : (**فى مرارة**) أخيراً ...

بريسكا : (**متممة عبارتها السابقة**) فى أنك مجنون .

مشلينيا : أشكركِ أيتها الأميرة . لأن أكون مجنوناً خير من أكون خائناً .

بريسكا : (**هادئة**) أنا خائنة ؟. ما هى تلك الخيانة المزعومة

التى ترمينى بها منذ لحظة ؟ (**مشلينيا ينظر إليها ولا يجيب**) تكلم . أرنى إلى أى حد يصل الجنون ... الأمر العجيب أنك لم تعد تخيفنى . نعـم ، لست أخاف جنونك اللذيذ هذا ... بـل إنى لأحب أن أستمع إلى قصصك ... تكلم . ما هو نوع خيانتى ؟ ولمن ؟ لك أنتَ ؟

مشلينيا : (**هادئاً . فى أسف وكأنما يقول لنفسه**) بريسكا ! إنك لستِ بريسكا !.

بريسكا : دعنا من هذا . هذا جنون سهل مبتذل . حدثنى عن الخيانة ...!

مشلينيا : بريسكا . إنك ما كنتِ على هذا الذكاء ...!

بريسكا : (**باسمة**) متى ؟.

مشلينيا : (**فى مرارة**) أهكذا انتهى كل شىء ...؟

بريسكا : أى شىء ؟.

مشلينيا : بهذه الوسيلة الهينة ! أى شيطان يجرؤ على هذا وأى ضمير ... (**لحظة**) لكن ... لا ... ينبغى أن أتربث

قبل أن أتهمك هذا الاتهام الشنيع . بريسكا الملاك الطاهر !؟ أتراني أسرف وأبالغ ؟ لعلى مجنون كما تقولين إذ أسمح لنفسى بالارتياب فيكِ . بريسكا ... لعل هذا ما تقصدين ! وافرحتاه ! لو أن هذا صحيح ! هذا الخاطر قد يرد إلىَّ الحياة ، بريسكا : تكلمى ! أأنا مجنون لأنى أرتاب فيك .؟

بريسكا : قد يكون هذا ولكن ما يحملك على الارتياب فى ؟ وما هو نوع ريبتك ؟

مشلينيا : (**يتقدم نحوها مادًّا يديه فى فرح**) أسألكِ الصفح !.

بريسكا : (**تتقهقر**) لا تلمسنى ... لا تلمسنى ...

مشلينيا : (**يقف فى مكانه طائعاً**) نعم إنى أثمت يا بريسكا ! إنها رعونتى لم تتغير ، وكذلك ...

بريسكا : ماذا ؟ تكلم ...

مشلينيا : الغيرة .

بريسكا : (**فى دهشة وعجب**) الغيرة ؟!

مشلينيا : (**خافت الصوت مطرقا**) نعم .

بريسكا : (**باسمة فى غير استنكار**) هذا جميل !

مشلينيا : (**فى عتب**) لأنك أهملتنى وأغفلت شأنى يا بريسكا لستُ أدرى لماذا ؟ ومنذ البارحة وأنا أتقطع لرؤيتك وأطلبك وأرسل إليك وأنتظر الليل . فيقال لى اليوم إنك عند هذا الرجل فى مخدعه تسامرينه ، وتلهينه فى ساعة كهذه مريبة ...!

بريسكا : إنك فاتن حقاً أيها القديس !.

مشلينيا : عُدْتِ إلى التهكم !.

بريسكا : كم يكون كلامكَ هذا أشد عجباً وغرابة لو أنك بقيت على منظر الأمس ، بلحيتك وشعرك وثيابك الغريبة (**مشلينيا لا يجيب**) ولكنى لست أكتمك أنى ما كنت أستطيع الاقتراب منك ، والإصغاء إليك كما أفعل الآن ... (**مشلينيا يكظم ولا يجيب**) أأغضبتك ؟

مشلينيا : مَن عَلمك هذه اللهجة ؟ وكيف انقلبتِ امرأة أخرى فى هذا الزمن القليل ! أين الوداعة والخفر والحياء

العميق وصوت الملائكة الذى لا يكاد يسمع ؟

بريسكا : كل شىء إلا الحياء العميق وصوت الملائكة أيها القديس ! من أين جاءك أنى كنتُ كذلك ؟

مشلينيا : كنتِ كذلك يوم كان الحب يرفعك عن هذه الأرض .

بريسكا : الحب ؟!

مشلينيا : الذى كان عندك أقوى من العقيدة ، أقوى من الدين ، لأن عقيدة الملائكة حب .

بريسكا : عقيدة الملائكة حب ؟

مشلينيا : أتجهلين ذلك الآن ؟

بريسكا : هذا أحسن مِا سمعتُ منك أيها القديس !. وأعقل ما قلتَ اليوم .

مشلينيا : (**فى أسف**) ومع ذلك فلست أنا قائله .

بريسكا : من إذن ؟

مشلينيا : أنت .

بريسكا : (**فى دهشة**) أنا ؟.

مشلينيا : نعم أنتِ التى أريتنى هذا وأفهمتنيه .

بريسكا : متى ؟ متى كان ذلك !؟

مشلينيا : يوم كنتِ أقل ذكاء وأعمق قلباً .

بريسكا : ومن قال لك إن قلبى ليس عميقاً ؟!

مشلينيا : عيناك .. كنت أرى فيهما ما لا أرى الآن ... وكانتا وحدهما اللتين يتكلمان على حين كان لسانك الساذج قاصراً لا يستطيع أن يقول كل ما قلت الآن .

بريسكا : (**بعد لحظة تأمل**) جميل هذا الدرس الذى تلقيه علىّ أيها القديس ! ليتك غالياس ، هذا المؤدب الذى طالما أثقل علىّ بأكاذيبه وحماقاته !

مشلينيا : (**فى برود**) إنى ما جئت لألقى دروساً .

بريسكا : إذن لعلها رسالتك إلى هذا العالم أيها القديس !. ثق بقولى ما أجملها رسالة إلينا ...

مشلينيا : (**منفجراً فى غيظ**) إلى عالم موبوء كله ختل وخيانة . نعم وأأسفاه .! لو أن رسالات السماوات كلها تنفع فى إعادة الطهر إلى قلب امرأة خائنة .!

بريسكا : عدتَ إلى ذكر الخيانة ؟ (**مشلينيا ينظـر إليها ولا يجيب**) لماذا تنظر إلىَّ هكذا تكلم ... إنى أُصغى إليك على كل حال ... تحدث ...

مشلينيا : (**يجثو**) بريسكا . إنى أتعذب لماذا تعذبيننى ؟... لماذا لا تخبريننى بالصدق بدل التهكم والمداورة ؟ قولى كلمة واحدة بصوتك العميق الصادق وأنا أقتنع وأستريح .. بل أقسمى .. أقسمى لى ..

بريسكا : أقسم لك ؟

مشلينيا : (**يرى الصليب فى جيدها**) نعم أقسمى على هذا الصليب وافرحتاه .. هذا صليبى مازلت تحملينه .. شكرا لك يا بريسكا ..

بريسكا : (**فى دهشة**) صليبك ؟!

مشلينيا : أليس فى هذا دليل على حفظك لعهدى. نعم.. قلبى يحدثنى دائما أنك بريئة . بل إنى لواثق . لكنى أطلب التأكيد .. التأكيد ... حتى لا أسمح لنفسى بعـد بالشك ..

بريسكا : (**تقلب الصليب فى يدها وكأنها تقول لنفسها**)
أتراك عدت إلى الخلط والجنون ؟ وأنا التى كادت تعنى بما تقول ...

مشلينيا : نعم إنه جنون أن أشك فى بريسكا . إنى أفقد وعيى كلما خطر لى ... إذن فلأطرد من رأسى كل فكرة من شأنها أن ... نعم فلنترك هذا الموضوع إلى الأبد ... ولنتكلم فى شىء آخر ... أعدك يا بريسكا وعدا صادقا أنى لن أجن بعد الآن ، فهل تصفحين عنى ؟ (**بريسكا تنظر إليه صامتة**) لماذا تنظرين إلَّى هكذا ؟ بريسكا ! هل تمنحيننى عفوك ؟ أجيبى .!

بريسكا : (**بغير انتباه**) نعم ...

مشلينيا : (**يريد أن يلثم يدها**) ما أسعدنى ! إنى الآن سعيد أيتها العزيزة .! يا خطيبتى المعبودة .!. (**بريسكا شاردة تحس شفة مشلينيا على يدها فتنتزعها من يده فى الحال**) لماذا لا تريدين أن ألثم يدك !

بريسكا : انهض أيها المجنون !. إنى أصغيت إليك أكثر مما

يجب ... (**تتحرك ذاهبة**) .

مشلينيا : (**صائحا فى يأس**) بريسكا . إلى أين ؟ أتذهبين بهذه السرعة وعلى هذا النحو ؟ وقبل أن تقولى لى .

بريسكا : (**تستدير**) أقول لك ماذا ؟

مشلينيا : إنى لن أستطيع النوم الليلة ، إن لم تزيلى كل ما بنفسى من ... مهما تبلغ ثقتى بك فإنى محتاج أن توضحى لى هذا الغموض ... أريد أن أعرف ... لا تعذبينى .! لا تقتلينى ! أريد أن أعرف يا بريسكا .

بريسكا : تعرف ماذا ؟

مشلينيا : من هذا الرجل ؟

بريسكا : (**فى دهشة**) أى رجل ؟

مشلينيا : الذى كنت عنده الساعة !

بريسكا : لم أكن عند رجل الساعة ! ولئن جازلك أن تخلط وتهرف ... فليس لك أن تهيننى .!

مشلينيا : صفحا يا بريسكا !... إنى وحشى التعبير وما قصدت إهانة ... لكنه القلق وحب المعرفة ، إنى أردت أن

أسألك أين كنت الساعة قبل أن تمرى بهذا البهو ؟

بريسكا : كنت عند أبى .

مشلينيا : (**دهشا**) أبوك ... أريد من كنت تقرئين له الآن وتسامرينه ...

بريسكا : نعم هو أبى ... إذا أرق دعانى لأطالع له حتى ينام .

مشلينيا : (**فى حدة**) بريسكا .!

بريسكا : ماذا دهاك ؟! و لم تحملق فىّ بعينيك ؟!

مشلينيا : بريسكا . أتمزحين وتتخابثين ؟... أم ... أم تريدين خداعى ... أم أنا فى ...

بريسكا : (**فى دهشة**) ماذا تقول ؟!

مشلينيا : أأنا عميت ... إن هذا ليس بدقيانوس ... إن هذا الملك ليس دقيانوس .

بريسكا : دقيانوس ؟! طبعا لا . إن أبى ليس بدقيانوس .

مشلينيا : بريسكا ! ألست ابنة دقيانوس ؟.

بريسكا : أأنت مجنون !! أأكون ابنة ملك مات منذ ثلثمائة عام ؟!

مشلينيا : (**رأسه بين يديه كأنما ينتظر طامة**) من أنت إذن ؟

إلهى ! أكاد أجن ! سأجن ...

بريسكا : (**تمد يديها إليه فى قلق**) ماذا بك .؟!

مشلينيا : ابنة هذا الرجل ؟. هذا الملك ؟. رباه كيف يمكن هذا ...؟

بريسكا : من كنت تحسبنى إذن ؟؟ آه ... (**تصيح فجأة إذ تبرق فى رأسها فكرة**) آه ... نعم ... نعم ... يا إلهى . فهمت ... فهمت ...

مشلينيا : (**رافعا رأسه**) ماذا ؟ ماذا ؟...

بريسكا : فهمت.إنى لست بريسكا التى تقصدها . يا إلهى ! كل هذا الذى قلت لم يكن لى إذن ... بل للأخرى ..

مشلينيا : لست أفهم ...

بريسكا : أنسيت أن عمرك ثلثمائة عام .؟! أنسيت أنك لبثت فى الكهف ثلثمائة عام ؟.

مشلينيا : وماذا يهم ... !؟

بريسكا : (**فى كآبة ومرارة وكأنما تقول لنفسها**) صدقت ! أنا أيضا نسيت ذلك الساعة !.

مشلينيا : بريسكا . ماذا تقولين ؟

بريسكا : لا . لا شيء !.

مشلينيا : تكلمى بالله ...

بريسكا : (**لمشلينيا**) إنها كانت ابنة دقيانوس ! دقيانوس الوثنى ، ولكنها اعتنقت دين المسيح !.

مشلينيا : نعم . من أجلى يا بريسكا . أليس كذلك ؟.

بريسكا : أوَ كان ذلك من أجلك ! آه . إذن كان ذلك من أجلك ! نعم . نعم . وغالياس يقول إنها قديسة وإن المسيح جاءها فى المنام وقلدها هذا الصليب الذهبى .

مشلينيا : بل هو صليبى الذى أهديتك إياه يا بريسكا عقب ذهابنا إلى الراهب ... ألا تذكرين !.

بريسكا : (**مفكرة كمن تخاطب نفسها**) نعم . نعم . أدركتُ كل شيء الآن ...

مشلينيا : (**فى رجاء**) أدركتِ الآن ! يا بريسكا .! تذكرت ؟.

بريسكا : (**تلتفت إليه فى قوة ، وتقول فى لهجة قاطعة**)

اسمع ! أتريد أن تصغى إلىَّ مليا ، وتعى ما أقول ؟.

مشلينيا : (**يلتفت إليها بكل جوارجه**) نعم .

بريسكا : إن بريسكا ابنة دقيانوس . خطيبتك التى تهواها ماتت منذ ثلثمائة عام .

مشلينيا : (**بغير فهم**) ماتت .؟.

بريسكا : نعم . عذراء طاهرة كما تركتها ، وقد حافظت على عهدك المقدس ... وظلت طول حياتها تقول : إنها تنتظر . تنتظرك أنت بالطبع حتى تعود .

مشلينيا : (**كالمخبول**) ماذا أسمع ؟!.

بريسكا : ولقد وفت بوعدها وانتظرتك حتى أدركها الموت فى الخمسين من عمرها ، وقد طلبت فى النفس الأخير أن تحمل لتموت فى هذا البهو ، لماذا ؟أكنتما تتلاقيان هنا !! تكلم يا هذا .

مشلينيا : (**فى غير وعى**) نعم . نعم .

بريسكا : الآن وقد عرفتَ . اذهب وابكها . إنها ولا ريب تنتظر دموعك . الوداع !.

مشلينيا : (**يتمسك بأذيالها وهي تهم بالانصراف**) بريسكا .!. لا تذهبي ...

بريسكا : (**في حدة غريبة**) قلت لك إني لست ببريسكا .

مشلينيا : (**في توسل**) لست أنتِ ... لم هذا يا بريسكا ؟ رحماك ! أتريدين أن أفقد عقلي ؟.

بريسكا : (**في حدة**) ألم تسمع ما قلت ...؟ لست بريسكا التي تحبها . ماذا تريد مني ؟.

مشلينيا : (**يحملق فيها كالمجنون**) رحمتك يا ربي ! من أنتِ إذن ! إني لستُ أدري بعدُ هل لي رأس فوق كتفيّ .؟.

بريسكا : (**في تجهم**) إني أشبهها . ولست هي . انظر جيدا . وليعد إليك عقلك .

مشلينيا : (**يحملق كمن لا يصدق**) تشبهينها ؟ تشبهين من يا بريسكا ؟؟.

بريسكا : ولقد أسموني باسمها .

مشلينيا : (**كمن كاد يفهم**) ربَّاه .!.

بريسكا : ألم يخبرك أحد بقصة العراف الذى جاءوا به ساعة ميلادى لينظر طالعى ؟.

مشلينيا : (**كمن يتذكر**) العراف ؟؟.

بريسكا : لقد تنبأ بأنى حينما أكبر سأشبه القديسة بريسكا ابنة دقيانوس . ولهذا دعونى باسم بريسكا .

مشلينيا : العراف ؟! نعم يخيل إلىّ أنى سمعت شيئا كهذا ... أين ومتى ؟!.

بريسكا : أوضَحت لعينيك الحقيقة الآن .؟!

مشلينيا : (**ينظر إليها طويلا**) لستِ إياها ؟!

بريسكا : كلا . لستُ إياها . اذهب ! ماذا تنتظر بعد فى هذا المكان .؟ قلبك لم يعد هنا .!

مشلينيا : (**وهو لم يزل ينظر إليها**) قلبى لم يعد هنا ؟!

بريسكا : (**تنظر إليه طويلا ثم تقول بصوت خافت**) الوداع ! (**تنصرف**) .

مشلينيا : (**كمن أصابه خبل يمد يديه نحوها**) بريسكا .؟ عزيزتى تعالَىْ ... أنت هى .! رباه .!! أنتِ هى ..!

لست هى ؟ ومن تكونين إذن ... أنت .؟ أنائم أنا .؟ أحى أنا ؟! أأكون فى حلم مضطرب مختلط ! إلهى . إلهى ! أيها المسيح .! أيها الإله ! أعطنى عقلا أرى به . أعطنى النور أو أعطنى الموت . اليقظة . النـوم . العقل . العقل ... مرنوش . أين أنت يا مرنوش ؟ أين نحن .. أين نحن الآن . أحلام الكهف ؟ أهـى أحلام الكهف ؟ أأنا فى حقيقة ؟ أأنا فى الكهف ؟ ما هذه الأعمدة ؟... (**يتخبط بين العمد فى البهو**) إلىَّ يا مرنوش ... يا يمليخا ... إنَّا لا نصلح للحياة ... إنا لا نصلح للزمن ... ليست لنا عقول ... لا نصلح للحياة !. (**يخرج فيصطدم بغالياس الداخل**) .

غالياس : (**يفرك عينيه وينظر فى أثر مشلينيا الذى خرج**) ماذا بالقديس ؟ ما بال القديس هائجا .!

بريسكا : (**تعود على مهل وتبحث بعينيها وتقـول بصوت خافت كأنما هو لنفسها**) ذهب ؟!.

غالياس : مولاتى ! ألم تأوى بعد إلى مخدعك ؟

بريسكا : لستُ أريد النوم .

غالياس : كنت أنتظرك على مقعد قرب باب الملك ولكن غلبنى النعاس فلم أركِ تخرجين .

بريسكا : (**غير ملتفتة إلى كلامه**) غالياس !

غالياس : مولاتى !

بريسكا : (**بعد لحظة ... فى تردد**) غالياس ...

غالياس : (**يدنو منها**) مولاتى ! لبيك يا مولاتى ... ماذا بك ؟

بريسكا : لا ... لا شيء . اذهب إلى فراشك إذا شئت ...

غالياس : أوَ تبقين وحدك هنا . ونحن فى ساعة متأخرةِ من الليل ؟

بريسكا : نعم .

غالياس : (**ينظر إليها**) ماذا بك يا مولاتى ؟ إنى لم أرك قط على هذه الحال ؟

بريسكا : ماذا ترى بى ؟

غالياس : لست أدرى على التحقيق ... ولكن ...

بريسكا : غالياس !. أريد أن أقول لك ... أريد أن أقول لك

شيئاً ... مروعاً .

غالياس : يالله ! تكلمى يا مولاتى .!

بريسكا : لقد وجدتُ ... وفقدتُ ... فى طرفة عين ...

غالياس : ماذا وجدت يا مولاتى ؟!

بريسكا : وفقدتُ ... وينبغى لى أن أفقد ... إلى الأبد !. لأن هذا جنون . هذا مزوع !

غالياس : وجدتِ ماذا ؟

بريسكا : حلمى ...

غالياس : حلمكِ ؟ أى حلم يا مولاتى ؟ (**لحظة**) نعم أذكر أنكِ قلت لى بالأمس عن حلم رأيته ... حلم مفزع مخيف .

بريسكا : هو ذاك أيها الأحمق ! اذهب عنى لا فائدة لى منك .

غالياس : مولاتى ! لا تُراعى ، ولا تعتقدى كثيراً بالأحلام !... لا سيما أحلام من فى سنك . إن أحلام الشباب غالباً أصغاث .

بريسكا : (**فى حسرة**) أحلام الشباب غالباً أصغاث ! (**كمن**

تخاطب نفسها) نعم ... صدقت فى هذا .

غالياس : ألم تحلمى أنك دفنت حية ؟! أوَ تصدقين حلماً كهذا ؟

بريسكا : (**تنتبه لعبارته**) ماذا ؟ نعم يا للمصادفة العجيبة ! لقد رأيت ذلك حقاً البارحة ؟ أجل يا غالياس ... و لم لا ؟ لقد بَدَأتْ تصدق الرؤيا ...

غالياس : (**فى قلق**) ماذا تعنين يا مولاتى ؟

بريسكا : لا شىء ... اذهب ...

غالياس : لست أفهم ... هذه أول مرة لا أفهم فيها كلامك يا مولاتى ؟... إنك اليوم تتكلمين كما يتكلم هؤلاء القديسون .!

بريسكا : لا تهن القديسين يا غالياس .

غالياس : حاشا الله يا مولاتى ! حاشا لله ! إن الله ليشهد بما فى صدرى من خشوع وخضوع . غير أنى أردت أن أقول إن خيراً للقديسين أن يظلوا فى السماء من أن ينزلوا بيننا على الأرض ...

بريسكا : إنهم ما نزلوا يا غالياس إلا ليرفعونا معهم إلى السماء .

غالياس : هذا شرف عظيم يا مولاتى . ولكن لا يناله إلاّ الأخصاء ...

بريسكا : (**فى حزن وكأنما تخاطب نفسها**) صدقتَ (**لحظة**) إذن لا ينبغى أن نطمع حتى فى هذا ؟

غالياس : ومع ذلك . من يدرى ؟ ألم يقل العراف إنك ستشبهين القديسة ؟ إن الله لم يخلق هذا الشبه عبثاً ...

بريسكا : (**مضطربة**) ويلك ! ماذا تعنى ؟

غالياس : أعنى يا مولاتى أنك قد تصيرين خليفتها .

بريسكا : خليفتها ؟ خليفتها فى ماذا ؟ يا للفظاعة ؟ أجننتَ يا غالياس ؟ إنى أفضل العذاب والموت على شىء فظيع كهذا ...

غالياس : شىء فظيع ؟ أستغفر الله ! أستغفر الله !

بريسكا : ألا تتصور فظاعته ! آه . ولكنك لا تفهم شيئا أيها الرجل . اذهب .

غالياس : أستغفر لك الله ! وأنا الذى رجا لك يا مولاتى رضاء

الله وولايته وتفاءل منذ قليل إذ ألحَّ القديس مشلينيا فى طلبك مرة أخرى الساعة ... وكان مهتما غاية الاهتمام .

بريسكا : (**مطرقة**) نعم . أعرف لمن كان هذا الاهتمام .

غالياس : أقابلتِه يا مولاتى ؟ إنى انتظرتك بباب الملك لهذا ، ولأرجو منك أن لا تفزعى منه ...

بريسكا : قابلته ... و لم أفزع مع الأسف ...

غالياس : وماذا قال لكِ ؟

بريسكا : (**تغالب تأثرها**) قال لى أشياء . أشياء . وفى وجهى ...

غالياس : (**ينظر إليها**) أتبكين يا مولاتى ؟!

بريسكا : قال إن القديسة بريسكا كانت عميقة القلب ، أما أنا فلا . وإنها كانت ذات صوت ملائكى لا يكاد يُسمع أما أنا فلا . وإنها كانت ذات وداعة وصفاء وحياء جميل أما أنا فلا ...

غالياس : كيف ذلك يا مولاتى ؟ أهو يعرفها ؟!

بريسكا : (**فى غيظ**) اسكت أو اذهب أيها الغبى الجاهل الأحمق ! إنه يحبها وتحبه وخطيبها وخطيبته وبينهما عهد مقدس لا بينها وبين الله أيها المؤدب الأبله . وكانت تنتظره حتى الموت ... تنتظره هو لا المسيح وهو الذى أعطاها هذا الصليب الذهبى ...

غالياس : عجبا ! القديس مشلينيا هذا ؟!

بريسكا : نعم هذا الفتى الجميل ... خطيب جدتى الغابرة . ولا يحب سواها فى الوجود ... فى أى وجود . اذهب الآن أيها المؤدب وارقد . إنى فى حاجة إلى السكون والوحدة ...

غالياس : (**متذكرا**) نعم . إنهما وجُدا وعاشا فى عصر واحد تحت حكم دقيانوس كما ورد فى كتاب الراهبين ...

بريسكا : قلت لك اذهب .!.

غالياس : (**وهو منصرف**) ذهبت ... أيتها الأميرة ! (**يخرج وتبقى بريسكا ورأسها إلى عمود**) .

مشلينيا : (**يعود**) ؟

بريسكا : (**تحس به فتستدبر ملتفتة إليه**) لم عدت ؟ (**مشلينيا يطرق ولا يجيب**) ألم تفهم إذن ما قلت لك الليلة ؟ إنى لست هى ...

مشلينيا : (**فى صوت خافت**) فهمت ...

بريسكا : إذن لماذا رجعت ؟ (**مشلينيا يطرق ولا يحير جوابا**) تكلم يا هذا .!

مشلينيا : لم أستطع البعد عن هذا المكان ...

بريسكا : نعم ... هذا المكان حيث كنتما تتلاقيان . وما أشقه عذابا على نفسك أن تفارق موضع الذكرى .!. أليس هذا ... ؟

مشلينيا : (**فى حزن**) ليته هذا !

بريسكا : إذن فأنت جئت تبحث عن أثر من آثارها تتعزى به .

مشلينيا : آثار من ؟

بريسكا : آثار من تحب ...

مشلينيا : إنها لم تمت .

بريسكا : ماذا تعنى ؟

مشلينيا : بل أنا الذى مت ... عندها ...

بريسكا : لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟... احذر يا هذا ! إن كنت تريد أن تتذكرها فى صورتى !. وتتأملنى كطيف لها . وتجعلنى تمثالا يشبهها . فإنى لا آذن لك بذلك .

مشلينيا : ليتك كنت تمثالا ولكنك كائن حى .

بريسكا : يا له من أمر مريع ! ابتعد عنى ...

مشلينيا : لا تخافى ! إنى لم أنس أن بيننا ثلثمائة عام .!

بريسكا : بل أفظع من هذا أنك تمزج شخصيتى بشخصيتها . إنك لا ترانى أنا ... بل تراها هى فىَّ ... إنها لم تمت عندك بل أنا التى ماتت ، اذهب عنى .! اذهب من هنا على الفور أيها الرجل !

مشلينيا : (**فى يأس**) ! بريسكا ...! بريسكا ...

بريسكا : صه ! لا تنادنى كما كنت تناديها . ليس بينى وبينك صلة ما أيها الرجل .! فلتحفظ الاحترام الواجب لى أو فاخرج !

مشلينيا : صفحا ... إنه اليأس ...

بريسكا : وبعد ... فماذا تريد من بقائك هنا ؟

مشلينيا : صدقت .. هذا مستحيل .. بقائى هنا .. مستحيل ..

بريسكا : نعم ... وإن كنت تأمل فى النظر إلى وجهى فثق أنى سوف أمنع عنك هذه الصورة وأحطم هذا التمثال .

مشلينيا : وأى نفع ؟ لقد قلتها الآن : ليس بينى وبينك صلة ما .

بريسكا : وهيهات لروح أحدنا أن يتصل بروح الآخر .

مشلينيا : نعم ... نعم ... بيننا الهوة السحيقة ... هوة ثلثمائة عام !

بريسكا : بل شىء آخر ... قلته أنت الساعة ولن أنساه : إن الأخرى ذات الصوت الملائكى أعمق قلباً وأجمل وداعة وأصفى نفساً ! إذن اذهب إليها يا هذا ! فإن هذا الزمان كما قلت أنت لم يعد فيه صفاء فى النفوس ولا عمق فى القلوب ولا وداعة سماوية ولا شىء واحد من تلك الأشياء التى تحبها ...

مشلينيا : (**فى ذهول**) بريسكا ...!

بريسكا : قلت لك إنى أكره سماع هذا الاسم .

مشلينيا : ولكنه اسمك !

بريسكا : من سوء الحظ ! ليت كان لى اسم آخر وصورة أخرى !

مشلينيا : لو كان ذلك لما كنت وجدتك ولكان مصيرى كمصير يمليخا ومرنوش !.

بريسكا : قلت لك إنك لم تجدنى بل وجدتها هى ...

مشلينيا : (**فى شبه فرح**) نعم وجدتها .

بريسكا : (**تكتم تأثرها**) نعم . وجدت ورأيت وأحببت كل ما هو لها : الاسم والصورة . أما كل ما هو لى ... ومع ذلك فماذا يهمك ؟ إنك فرح أنك وجدتها ...

مشلينيا : نعم . وجدتها .

بريسكا : ...(**تجفف دمعة سقطت من عينها برغمها**) .

مشلينيا : أتبكين ؟.

بريسكا : اخرج من هنا . إنى لأرجو منك ...

مشلينيا : (**فى فرح وذهول**) يا للعجب ! إنى لم أرك قط

تبكين !

بريسكا : لم ترها قط تبكى ! نعم . لأن الملائكة لا تبكى . إنها رقيقة دقيقة لا تتحمل البكاء . وقطرة دمع واحدة قد تدمر تركيبها اللطيف !

مشلينيا : إذن لماذا بكيت ؟

بريسكا : لم أبك .

مشلينيا : هذه الدمعة التى رأيتها الآن .

بريسكا : أنت أعمى . لا ترى ...

مشلينيا : (**فى سذاجة وذهول**) ربما . بل إنى لأعترف بأنى لا أرى شيئاً الآن ... ولا أعى أية حقيقة . إنى كإنسان يعميه نور ... نور كثير وسط عالم من الأحلام ... فمهما أر وأسمع من حقائق هائلة ، فهى عندى بسمات أو نسمات تمر دون أن تترك أثرا فيما أنا فيه . ما هى الثلثمائة عام ؟! وما هى تلك البراهين التى تستطيع أن تثبت لى أنك لست إياها ؟! وما هو ذلك الويل الرهيب الذى يتربص بى إذ ينكشف لى أنك امرأة أخرى . وأن بيننا هوة ؟! كل هذا لا يهمنى

الآن لأنى عائش الآن فى حقيقة واحدة : أنى سعيد هنا ... وأن قلبى هنا !.

بريسكا : (**تتحرك ذاهبة**) إذن ابق هنا .

مشلينيا : (**فى خوف**) وأنت ؟؟

بريسكا : وما شأنى بك ؟.

مشلينيا : (**فى قنوط**) لا تذهبى ! لا تذهبى سريعا ... لا تذهبى ...

بريسكا : ماذا تريد منى ؟ ينبغى لك أن تصحو ... آن الوقت لأن تبصر ...

مشلينيا : لا أريد . لست أريد أن أبصر الآن . الإبصار لى موت . أتريدين أن أموت ؟.

بريسكا : لو أنى فى مكانك لآثرت اللحاق بها فى السماء ...

مشلينيا : إنى الآن فى السماء ... معك فى السماء ...

بريسكا : (**فى مرارة**) فى سماء خيالك أيها المجنون !

مشلينيا : (**ضارعاً**) بريسكا ! لا تتركينى .! لا تتركينى وإلا سقطت فى الجحيم .

بريسكا : (**تخلع الصليب الذهبى من جيدها**) أعطيك شيئا يمنعك من السقوط ... هذا الصليب الذهبى ..!

مشلينيا : هذا الصليب الذى أهديتك إياه ؟؟

بريسكا : (**تمده إليه**) بل الذى أهديته إليها هى ... إنى أرده ... فهو ليس لى ...

مشلينيا : بل هو لك .

بريسكا : لن يستطيع صدرى حمله بعد اليوم . إن جسدى ليرتجف من لمسه الآن كما لو أنه أفعى لاذعة ...

مشلينيا : إنك تخيفيننى ...

بريسكا : (**تشير إلى يده**) أليست هذه اليد ذاتها التى وضعت هذا الصليب على صدرها هى منذ ثلثمائة عام !...

مشلينيا : ثلثمائة عام !.

بريسكا : وهاتان الذراعان الفتيتان أما التفتا حول خصرها المرهف الدقيق ؟!...

مشلينيا : ماذا تقولين ؟

بريسكا : وهاتان الشفتان وما زالتا ، مع الأسف ، جميلتين ...

ومن يدرى ... لعلهما أيضاً ...

مشلينيا : اسكتى ...

بريسكا : مِمَّ خفتَ يا خطيب جدتى !؟...

مشلينيا : هذا ... مروع !...

بريسكا : والآن بعد هذا كله تكاد تلمس جسدى هذه اليد وهاتان الذراعان و ...

مشلينيا : كفى ... كفى ...!

بريسكا : (**تشير إلى جسدها**) نعم ... هذا الجسد ! انظر يا حبيب جدتى ... ألا تعرف كم عمره ؟ عشرون ربيعاً فقط .

مشلينيا : (**يخفى وجهه براحتيه**) يا لفظاعة ما تقولين !...

بريسكا : أرأيت ؟؟ ما دمنا فى عالم القلب فلن نرى إلا نوراً ... ذلك هو النور الذى تحكى عنه ...

مشلينيا : نعم ... نعم ...

بريسكا : وكان ينبغى أن تذكر الجسد المادى لننزل إلى عالم العقل فنرى الفظاعة والهول والشقاء الآدمى الذى

ينتظرنا ...

مشلينيا : نعم ... نعم ... الوداع !. يا ... يا ... لست أجسر ! الآن أرى مصيبنى وأحس عظم ما نزل بى . لا مرنوش ولا يمليخا رزئا بمثل هذا ... إن بينى وبينك خطوة ... بينى وبينك شبه ليلة ... فإذا الخطوة بحار لا نهاية لها . وإذا الليلة أجيال ... أجيال ... وأمد يدى إليك وأنا أراك حية جميلة أمامى فيحول بيننا كائن هائل جبار : هو التاريخ . نعم ، صدق مرنوش ... لقد فات زماننا ونحن الآن ملك التاريخ ... ولقد أردنا العودة إلى الزمن ولكن التاريخ ينتقم ... الوداع !.

بريسكا : (**ترنو إليه طويلا وهو ينصرف حتى يختفى فتقول فى صوت خافت عميق**) : الوداع يا مشلينيا !.

الفصل الرابع

(منظر الفصل الأول عينه : الكهف « بالرقيم » . يمليخا ومرنوش ومشلينيا ممددون على أرض المكان كالموتى أو المحتضرين ... والكلب قطمير قابع على مقربة منهم ... ... سكون عميق ...)

مشلينيا : **(في صوت ضعيف)** مرنوش .! **(مرنوش لا يجيب)** يمليخا .! **(يمليخا لا يجيب)** أحس الموت ... **(لا يسمع جواباً ــ يسكت لحظة)** أين نحن يا مرنوش ؟ نحن في الكهف ... و لم نغادر قط الكهف ... كم لبثنا يا مرنوش ؟ **(لا جواب)** يوماً أو بعض يوم ؟ **(ما من**

مجيب) يمليخا ! أين الطعام الذى ذهبت لتأتى به ؟ إنى جائع ... أصابنى الهزال ... سأموت ... (**لا جواب**) كلا ... ليس الجوع يؤلمنى بل هواء المكان . أكاد أختنق أكاد أختنق ها هنا ... إنا رقدنا كثيراً ونمنا طويلا . انهضا أيها البليدان !... لقد رأيتُ أحلاما مفزعة ... (**لا يجيبه أحد فينهض ويتلمس با حثاً عن مرنوش ثم يهزه بيده**) مرنوش !... مرنوش ...

مرنوش : (**فى صوت ضعيف جداً**) آه ... من ...

مشلينيا : أنا مشلينيا ...

مرنوش : دع ... دعنى ...

مشلينيا : ما بك ...؟ أمريض ؟...

مرنوش : إنه ... يقترب ...

مشلينيا : من ...؟ ماذا ...؟

مرنوش : المركب ...

مشلينيا : أى مركب ؟!

مرنوش : الـذى سيحملنـا إلى ... إلى حـيث يجب أن نكون ...

مشلينيا : لا ... يا مرنوش ، ليس هناك مركب مقبل . بل يجب أن نذهب نحن على أقدامنـا ... إننـا نمنـا طويلا ... وآن لنا أن نخرج ...

مرنوش : نخرج ؟؟

مشلينيا : نعم ... نعم . إن المذبحة ولا شك قـد انتهت ودقيانوس قد هدأ ثائره ...

مرنوش : رباه ...! أهو ... بحران الموت ؟!

مشلينيا : نعم أنت فى بحران لأنك تتكلم عن مركب .! لعله الضعف !... أنا كذلك أحس كأن قدمى لا تستطيعان حملى ... ومع ذلك ينبغى أن نخرج من هذا المكان ... فقد حلمتُ أحلاما مزعجة ...

مرنوش : ماذا ...؟

مشلينيا : نعم يا مرنوش . لقد رأيت كأن أناساً ذوى منظر غريب دخلوا علينا الكهف واقتادونا إلى القصر .

فإذا نحن نرى هناك كل شيء قد تغير . فالملك ليس بدقيانوس . وطرسوس ليست بطرسوس . يا للويل ! وبريسكا ... حتى بريسكا رأيتها فلم تعرفني ، وزعمت أنها تشبهها وليست هي ... وأن الأخرى ماتت عذراء منذ ثلثمائة عام ! وأننا عشنا كذلك ثلثمائة عام .!

مرنوش : (**في صيحة**) آه ... أهذا حلم .؟!

مشلينيا : مزعج كما ترى ...

مرنوش : أحلم هو أم حقيقة .؟

مشلينيا : حقيقة ؟!

مرنوش : نعم ... لقد خرجنا حقيقة ثم عدنا ...

مشلينيا : متى ؟! إنك لفي بحران أيها المسكين .!

مرنوش : بل أنت ... بل أنت ...

مشلينيا : كيف ؟ أكان يقظة كل ما قلت ! أعشنا ثلثمائة عام ! وبريسكا ليست بريسكا ؟. ما هذا الخرف ؟ ما هذا الخلط ؟ أيستطيع عقل أن يتخيل

كل هذا ؟.

مرنوش : إنى رأيتُ عين ما رأيتَ ... أكنت أحلم أنا أيضاً ؟

مشلينيا : ماذا حلمتَ أنت ؟

مرنوش : أنهم دخلوا علينا كما قلت وأن البلد غير البلد وأن أهلى ... آه ... يا للويل !... أن مكان بيتى سوق للسلاح ، وأن ولدى مات فى سن الستين منذ ثلثمائة عام وقد شاهدت قبره المتهدم بعينى رأسى .!

مشلينيا : مات فى سن الستين !. ابنك الصغير ! وأنت لم تبلغ بعد الأربعين ! أليس هذا خلط حلم !

مرنوش : نعم ... لا ... رباه أحلم هذا حقا أم يقظة ؟!

مشلينيا : بل حلم أيها المسكين .

مرنوش : إذن ولدى لم يزل حيا ... كما تركته ؟

مشلينيا : نعم ... وبريسكا لم تزل خطيبتى ، وستلقى بنفسها فى أحضانى إذ ترانى ؟

مرنوش : إنهما فى قيد الحياة ... لست أصدق ... بل ولِمَ لا ؟ إنا لم تغادر الكهف . فكيف تمر ثلثمائة عام فى لحظة ،

ولكن لا ... بل نعم ... رباه ... الرحمة !... لقد فقدت التمييز ...

مشلينيا : ثق أنه حلم .

مرنوش : فلنسل يمليخا ... يا يمليخا ؟ (**يمليخا لا يجيب**) أيقظ يمليخا .!

مشلينيا : (**يهز يمليخا**) قم ... أيها الراعى !... (**يمليخا يتحرك ويئن**) استيقظ !...

يمليخا : (**فى صوت ضعيف**) أين ... أنا ؟

مشلينيا : فى الكهف .

يمليخا : ألم أمت بعد ؟

مرنوش : يمليخا ...!

يمليخا : من ... ينادينى ...!

مرنوش : يمليخا ...! أحلم هو أم حقيقة ؟

مشلينيا : أجب يا يمليخا !. أخرجنا حقا من هذا المكان ؟!

يمليخا : ماذا ... أسمع ؟

مشلينيا : ها نحن أولاء الثلاثة ... وقطمير رابض معنا ... وقد

كنا نائمين ...

يمليخا : يا للمسيح !... أكان حلماً ... ؟

مشلينيا : أأنت أيضا رأيت ؟. حدثنا بما رأيت .

يمليخا : رباه !

مرنوش : تكلم يا يمليخا .!

يمليخا : ألم يدخلوا علينا إذن حقيقة ويقتادونا إلى القصر ؟

مرنوش : أنت أيضاً رأيت ذلك ؟!

يمليخا : وأعجب منه ... وأشد هولا ! طرسوس ليست بطرسوس بل عالم آخر وجيل آخر لم أستطع الحياة فيه ... لا أنا ولا قطمير كلبى ...

مشلينيا : عجبا !

مرنوش : مشلينيا ! أوَ يمكن أن نحلم جميعا حلما واحداً متشابهاً .؟!

يمليخا : أكان هذا حلماً ؟ مرنوش ! مشلينيا ! أما خرجنا حقيقة من الكهف ! وهذا الرعب الذى رأيت فى المدينة أحدث كل هذا فى رأسى وأنا نائم هنا ؟!.

مرنوش : مشلينيا ! أيرى ثلاثتنا حلما واحدا ؟

مشلينيا : وما يمنع ؟ نحن فى مكان واحد وفى حال واحدة تتسلط علينا أفكار واحدة .

يمليخا : (فى فرح) إذن كان حلماً ! وإذا خرجنا الآن نجد عالمنا الذى نستطيع أن نعيش فِيه .

مرنوش : (فى فرح بالغ) وافرحتاه ولدِى حىٌّ ينتظر هدايا ولعبا .؟!

مشلينيا : وبريسكا ... يا للهول ! إنى أرتعد مما رأيت فى الحلم ! إنها انقلبت حفيدة من أحفادى وإذا يدى لا تستطيع أن تمتد إلى جسدها ويلاه ...! الجسد ... الجسد ... أذكر هذه الكلمة . إنها هى التى فاهت بها فى ذعر ، وفهمت عندئذ أن شيئاً يفصل أحدنا عن الآخر فهربت يائساً إلى الكهف لأموت جوعا ..

مرنوش : نعم ... نحن كذلك هربنا إلى الكهف لنموت جوعا ...

يمليخا : يا للمسيح !. نعم ... نعم ...

مشلينيا : لعل كل هذا من بحران الجوع . لقد نمنا منذ لجأنا إلى الكهف فراراً من دقيانوس ... فلم نذق من ذلك الحين شيئا ...

مرنوش : بحران الجوع ! أذكر أنا بعثنا يمليخا إلى المدينة ليشترى لنا طعاما ...

يمليخا : نعم ... نعم ...

مشلينيا : كان هذا أيضاً من البحران .

يمليخا : لقد خرجت فصادفت فارساً صياداً ذا هيئة غريبة ! رباه ... نعم هو بحران !.

مرنوش : حلم ... بحران ... حقيقة ؟ يا إلهى ! لم أعد أستطيع التمييز ...

مشلينيا : نعم . هو حلم كالحقيقة .

يمليخا : وواضح جلى ... كأنه حقيقة ...

مرنوش : مشلينيا ...!. مشلينيا . كيف عرفت أنه حلم ؟!

مشلينيا : إن لم يكن ما رأينا حلماً ... فنحن الآن فى حلم ...

مرنوش : و لم لا نكون الآن فى حلم ؟؟

يمليخا : نعم ... نعم يارب ! ما الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة ؟ لقد اختبل عقلي. رحماك أيها المسيح !

مشلينيا : أتريدان القول إنا عشنا ثلثمائة عام فى الحقيقة ؟!...

مرنوش : (**ويمليخا معاً**) ثلثمائة عام !...

مشلينيا : الحلم وحده هو الذى يستطيع فيه الإنسان أن يعيش مئات الأعوام دون أن يشعر بمرها ...

مرنوش : صدقت يا مشلينيا ...

مشلينيا : أحمد الله أنه حلم ... وإلا كنت فقدت بريسكا إلى الأبد ...

مرنوش : نعم ... وافرحتاه !... وأنا ... كذلك ...

يمليخا : وأنا أيضاً ... إذن غنمى لم تزل ترعى الكلأ فى موضعها .؟.

مشلينيا : (**بعد لحظة ... فى صوت المتأمل المفتون**) ومع ذلك يا مرنوش ...

مرنوش : ماذا ... ماذا ؟

مشلينيا : مع ذلك . شد ما كان حلماً لذيذا ...!

مرنوش : لذيذا ؟ ماذا تقول ؟

مشلينيا : لم أر بريسكا قط على مثل ذلك الجمال والذكاء الذى رأيت فى الحلم ! لقد كان بيدها كتاب وكان حديثها حديث فطن هذبته القراءات . هذا عجيب ! إن بريسكا الساذجة البسيطة التى كنت أقرأ لها خفية الكتاب المقدس وهى لا تكاد تفهم عنه ... قد قَلّبها الحلم أمام عينى امرأة ذكية الفؤاد عالية الفكر ...
ما أجملها ! نعم ما أجملها ! مرنوش ... مرنوش ...

مرنوش : ماذا بكَ ؟

مشلينيا : مرنوش ! أخشى أن أقول إنى ... أحببتُ بريسكا التى فى الحلم ...

مرنوش : ما هذا الهذيان ؟...

مشلينيا : (**متنهداً فى لذة**) كم يجمِّل الحلم الأشياء والأشخاص !

مرنوش : وكم يشوهها ويبشِّعها أيضا .!

مشلينيا : نعم ... نعم ... إنها كذلك كانت فى الحلم كالغربية

عنى لا تصلها بى صلة ... ثم فكرة الشبه ... وفكرة الحفيدة ... تلك كلها من فنون الحلم التى يشع بها الحقيقة . نعم يا مرنوش ... إن الحلم أحياناً كالفن لا ينقل الحقيقة كما هى بل يسبغ عليها من عبقريته جمالا لم يكن أو بشاعة لم تكن !

مرنوش : صدقتَ ... ويرفع الأشخاص والأشياء ... لقد رأيتُ كأنهم يدعوننى بالقديس !

مشلينيا : عجبا .! وأنا كذلك ...

مرنوش : إنى أفضل الحقيقة على خفضها وضآلتها ...

مشلينيا : وأنا أيضا ... ولكن ... واأسفاه ! لو أنها كانت فى الحقيقة على هذا الجمال والذكاء ... ما أجملها ! لو رأيتها يا مرنوش ! ما أجملها وهى تتكلم ... لقد كانت فى ثوب غريب لكنه جميل ... ولقد ارتديتُ أنا كذلك ثوباً غريباً جميلا ...

يمليخا : (**يئن متوجعاً**) آه ...

مرنوش : لمن هذا الأنين ؟ يمليخا ...!

مشلينيا : أمريض أنت يا يمليخا ؟...

يمليخا : (**فى صوت كالحشرجة**) كلا ... بل ...

مشلينيا : إنه الجوع ... إنى أحس ضعفاً هائلا ... لماذا لا نبعث أحداً يشترى لنا طعاماً ؟.

مرنوش : نعم ... نعم ... ويستطلع لنا الخبر ... اذهب يا يمليخا ...

يمليخا : آه ... يا للمسيح !... الرحمة ...

مرنوش : ما بكَ ... يا يمليخا !... (**يمليخا يلفظ آهة**)

مشلينيا : كلنا ضعيف مثلك ... قم ... انهض ... واذهب واطعم مما تشتريه كى تسترد قوتك ...

مرنوش : نعم ... قم يا يمليخا ...!

يمليخا : (**يحاول النهوض**) آه ... سأنهض ... سأ ... آه ... (**يقع على الأرض محشرجاً**) .

مشلينيا : يمليخا ! يمليخا ...

مرنوش : (**فى ارتياع**) سمعت صوت سقوط جسم ...

مشلينيا : (**فى صوت خافت مرتاع**) لمن هذه الحشرجة؟ يمليخا!

يمليخا : إنى ... أموت .

(**مشلينيا ومرنوش فى سكون رهيب**)

يمليخا : (**بعد لحظة**) الوداع !... أشهد الله والمسيح ... أنى أموت ولا أعرف ... إن كانت حياتى ... حلما ... أم ... حقيقة ...

(**صمت**)

مرنوش : (**بعد لحظة**) يمليخا ...

مشلينيا : (**بعد لحظة**) يمليخا ...

(**سكون ولا من مجيب**)

مرنوش : مات ...

مشلينيا : (**بصوت خافت جزع**) نعم ...

مرنوش : (**بعد لحظة صمت**) مشلينيا ... اسدل على وجهه غطاء !

مشلينيا : أى غطاء !...

مرنوش : خذ جزءاً من ثيابى ... إنى أكاد أختنق فيها ...

مشلينيا : (**فى صوت متغير**) أنا أيضا ... أختنق ...

مرنوش : (**صائحا وقد لمس ثيابه**) مشلينيا ... مشلينيا ...!

مشلينيا : ماذا ؟

مرنوش : مشلينيا ...! ثيابى .!.

مشلينيا : ما بلك يا مرنوش ؟

مرنوش : رباه . مشلينيا .!!افحص ثيابك !

مشلينيا : (**بعد لحظة — فى رعب**) مرنوش !. نعم ... نعم ... أدركت ... أدركت يا للهول ؟ أممكن هذا ؟

مرنوش : إنها ثياب الحلم يا مشلينيا ...

مشلينيا : أجل يا مرنوش ...

مرنوش : ما معنى هذا ؟.

مشلينيا : لست أدرى . رباه إنى خائف !

مرنوش : الآن ... لم يبق شك ...

مشلينيا : (**فى خوف**) فيم يا مرنوش ... ؟

مرنوش : فى أنها كانت يقظة ... (**مشلينيا لا يحير جوابا**) كانت حقيقة ... (**مشلينيا لا يحير جوابا**) ماذا

دهاك ؟.

مشلينيا : حقيقة ؟!

مرنوش : عذب نفسك أيها المسكين ! أما أنا فلا يهولنى أن أعلم هذا . إنى إنما رجعت لأموت لأن قلبى كان قد مات . إنك أنت الذى أوهمنا أنه حلم ، لقد أمكنك أن تخدع منا العقل ؛ ولكن القلب لم يخْدَع لأن قلبى كان قد مات ...

مشلينيا : (يئن) مرنوش !...

مرنوش : اعترف أيها البائس أنك ما كنت رجعت إلا لتموت .!

مشلينيا : نعم يا مرنوش !

مرنوش : إذن ما الذى أوحى إليك بهذا ؟!

مشلينيا : أقر بأن قلبى لم يكن قد مات ...

مرنوش : نعم ... القلب ... نافورة الأحلام والآمال !!. ماذا كنت تؤمل بعد أيها الشيخ ؟؟

مشلينيا : لا شيء . لم أكن أؤمل فى شيء ... لقد رجعت وأنا فاقد الأمل فى الحياة ، ولكن ... الآن أحس أنى أحب

يا مرنوش . أحب بكل ما يستطيعه قلب ...

مرنوش : تحب ؟!

مشلينيا : سيان عندى أن تكون هى أو لا تكون . أحب هذه المرأة ذات الكتاب التى رأيتها ... فى اليقظة !

مرنوش : أنت جننت يا مشلينيا ...

مشلينيا : لم أجن . إنى فتى ولى قلب فتىّ . قلب حى . كيف تريد أن أدفن قلبى ؟ كيف أدفن نفسى حيا ، ومن أحب على قيد الحياة ، لا يفصلنى عنها فاصل ؟!...

مرنوش : بل يفصلك عنها فاصل .

مشلينيا : الزمن ؟

مرنوش : (**فى صوت خطير هائل**) نعم ...

مشلينيا : (**فى يأس**) آه ... يا مرنوش ! الرحمة ... أريد أن أعيش ... ارحمنى يا مرنوش ! أريد أن أعيش !

مرنوش : سوف تعيش ...

مشلينيا : (**فى فرح**) أصحيح يا مرنوش ؟ أأستطيع أن أعيش !

مرنوش : نعم ... بين جلدتى كتاب !

مشلينيا : (**يائسا**) آه ...

مرنوش : لا فائدة من نزال الزمن . لقد أرادت مصر من قبل محاربة الزمن بالشباب ... فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الهرم والشيخوخة ، كما قال لى يوما قائد جند عاد من مصر ، كل صورة فيها هى للشباب من آلهة ورجال وحيوان ... كل شىء شاب ... ولكن الزمن قتل مصر وهى شابة وما تزال ولن تزال ... ولن يزال الزمن ينزل بها الموت كلما شاء ، وكلما كتب عليها أن تموت ... (**مشلينيا لا يجيب**) مشلينيا !. (**مشلينيا لا يجيب ويتكلم مرنوش بعد لحظة فى صوت ضعيف**) مشلينيا ! إن الكلام قد أنهك ما بقى من قواى . أحس البرودة تسرى فى جسدى ... قد نسينا أنّا فى طريق الموت منذ أسابيع ! (**مشلينيا لا يجيب — مرنوش فى صوت خائر**) مشلينيا لماذا لا تجيبنى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منى ؟

مرنوش : (**ضعيـــف الصوت**) أصغ إلـــىّ ... لا تحاول المستحيل .

مشلينيا : لست أحاول شيئا .

مرنوش : (**متخاذل الصوت**) افهم أنك رجل ميت .

مشلينيا : أفهم ...

(صمت عميق)

مرنوش : (**فى شبه أنين**) مشلـ...ينيـا ... (**مشلينيـــا لا يجيب**)سأذهب ... يا ... مشلينيا ...

مشلينيا : (**كأنما يخاطب نفسه**) الزمن ! ما هو الزمن !؟

مرنوش : (**يحتضر**) مشلينيا ... ضع ... يدى . اليسرى فى يد يمليخا ... (**مشلينيا واجم**) مات المسكين ... ولم ... يعرف الحقيقة ... ومع ذلك ... هـل عرفناها ... نحن ؟

مشلينيا : ماذا تعنى ... يا مرنوش ؟.

مرنوش : أحلام ... نحن أحلام الزمن ...

مشلينيا : الزمن يا مرنوش ؟.

مرنوش : نعم ... الزمن يحلمنا ...

مشلينيا : كي يمحونا بعد ذلك ؟!

مرنوش : إلا من استحق الذكر فيبقى فى ذاكرته ...

مشلينيا : التاريخ ؟!

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (**فى قلق**) أهذا هو كل ما نرتجيه بعد الموت ؟ أهذا كل تلك الحياة الأخرى ...؟!

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (**فى قلق**) مرنوش ؟ أنت إذن لا تؤمن بالبعث ؟؟؟

مرنوش : أحمق ! أوَ لم نر بأعيننا إفلاس البعث !؟

مشلينيا : أستغفر الله ! أنت الذى عاش مسيحيا تموت الآن كوثنى ؟!

مرنوش : (**فى صوت خافت**) نعم ... أموت الآن ...

مشلينيا : مجرداً عن الإيمان ...

مرنوش : مجرداً ... عن كل شيء ... عارياً كما ظهرتُ ... لا أفكار ولا عواطف ... ولا عقائد ...

مشلينيا : رحمة لك أيها التعس !

مرنوش : (**مشلينيا ينظر إليه ولا يجيب**) وقتما تلحق بى ...
ضع يدك ... فى يدى اليمنى ...

مشلينيا : حاشا أن أضع يدى فى يد وثنى .!.

مرنوش : إذن ... (**مشلينيا ينظر إليه صامتاً وهو يموت**) ...
الوداع .!. (**وحشرجة ثم صمت**) .

مشلينيا : (**بعد لحظة**) مرنوش !... (**مرنوش لا يجيب**)
مرنوش ! صديقى !. أخى !... (**لا يسمع جواباً**)
مات ... مرنوش ! (**ينظر إلى السماء**) اللهم ارحمه
رحمة واسعة ! إنه قانط فقد قلبه ولا يعى ما يقول !
(**صمت عميق**) لم يبق سواى وكلب الراعى !
ذهب يمليخا و لم يذكر كلبه ... (**ينادى**)
قطمير ...! قطمير ...! (**لا يجيبه سوى الصدى**)
لعله مات كذلك وهو رابض فلم ينتبه إليه أحد ! و لم
يستطع المسكين مقاومة الجوع (**لحظة صمت**) هو
أيضاً عاش حياته وذهب كأنه ظل كلب مرَّ فوق

حائط .!. (**لحظة**) ما الفرق بين قطمير وظله .؟! (**لحظة تأمل**) رباه ! أخشى أن يكون مرنوش قد أصاب .! (**لحظة تأمل أخرى**) كلا . كلا ... لقد فقد مرنوش البصيرة .. إنّا لسنا حلماً ... لا ... بل الزمن هو الحلم ... أما نحن فحقيقة ... هو الظل الزائل ونحن الباقون ... بل هو حلمنا . نحن نحلم الزمن . هو وليد خيالنا وقريحتنا ولا وجود له بدوننا . إن تلك القوة المركبة فينا ، وهى العقل ، منظم جسمنا المادى المحدود ... آلة المقاييس والأبعاد المحدودة ... هو الذى اخترع مقياس الزمن . ولكن فينا قوة أخرى تستطيع هدم كل ذلك : أوَ لم نعش ثلثمائة عام فى ليلة واحدة فحطمنا بذلك الحدود والمقاييس والأبعاد ؟ نعم ها نحن أولاء استطعنا أن نمحو الزمن ... نعم تغلبنا عليه ... (**لحظة**) لكن ... وأسفاه ! بريسكا : ما يحول بينى وبينها إذن ؟ نعم محوناه ، الزمن ينتقم . إنه يطردنا الآن

كأشباح مخيفة ويعلن أنه لا يعرفنا ويحكم علينا بالنفى بعيداً عن مملكته ... ربى ! هذه المبارزة الهائلة بيننا وبين الزمن أتراها انتهت بالنصر له ؟! (**بعد لحظة منهوكا**) آه ... لقد تعبت ... تعبت من الكلام ومن التفكير ... ومن الحياة . بل من ... الحلم ... هذه ليست الحياة . بل هى حلم مشوش مضطرب ... إلى الحقيقة إذن ... الصافية ! الجميلة ! نعم إن الحقيقة لا يمكن أن تكون بهذا الاضطراب ولا يمكن كذلك ألا تكون هناك حقيقة ... (**لحظة**) أشهد الله ... أنى أموت مؤمنا .! أشهد المسيح أنى أؤمن بالبعث ! لأن لى ... قلبا يحب . (**صمت**) . (**تظهر بعد لحظة بريسكا يتبعها غالياس**) .

بريسكا : (**تقف جامدة فى رهبة**) ! يخيل إلىّ أنى سمعت صوتا هنا ...

غالياس : مستحيل يا مولاتى ! إنهم جثث هامدة كما ترين ... ولقد مضى نحو شهر وهم محبوسون بلا طعام .

بريسكا : صوت كالحشرجة يتكلم ...

غالياس : لعله صدى دخولنا الكهف ...

بريسكا : غالياس !... أأنت مستعد لتنفيذ ما قلتُ لك ؟

غالياس : مولاتى ! أتوسل إليك أن تتفكرى ...

بريسكا : شبعت من توسلاتك شهراً يا غالياس. أريد أن أعرف الآن وقد جاء يوم العمل أمستعد أنت أم لا ؟

غالياس : إنى دائماً مستعد لتقديم حياتى القصيرة لك يا مولاتى ...

بريسكا : ألم يرنى أحد وأنا آتية هنا ؟.

غالياس : كلا يا مولاتى ... لكن ...

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : الملك ... إنه يتأهب الساعة للخروج فى الموكب وقد يسأل عنك فى القصر لتخرجى معه ... إن هذا مهرجان دينى عام وأنت صاحبة الفكرة فى إقامته ؟

بريسكا : بل الشعب بمجد قديسيه .

غالياس : مولاتى !... ألست أنت الموحية إلى الملك ببناء معبد عليهم ؟

بريسكا : وبعد ؟

غالياس : قد يطلبك الملك إلى جانبه اليوم إذ يحتفون بسد باب الكهف ووضع الأساس ؟

بريسكا : لقد دبرت الأمر ... واعتذرت بالمرض . (**صمت عميق يسمع فيه صوت حشرجة**) (**بريسكا فى رهبة**) غالياس !! أسمعت ؟...

غالياس : ماذا ... يا مولاتى ؟

بريسكا : إلهى ؟ أهنا ... ما زالت حياة ... (**تتردد ثم تتقدم خطوة**) .

غالياس : إلى أين يا مولاتى ! لا تذهبى ...

بريسكا : دعنى ... دعنى ... مشلينيا ... (**تندفع باحثة عنه بين الجثث**) .

مشلينيا : (**فى صوت خافت**) بريسكا ...

بريسكا : (**فى فرح جنونى**) تلفظ اسمى ! آأنت حى ! آأنت حى بعد ؟؟ مشلينيا ... مشلينيا ... لا تمت لا تمت ... ! غالياس أسرع ... قليلا من الماء ... قليلا

من اللبن ... من الطعام ... أسرع ... أتوسل إليك . أتوسل إليك ... (**غالياس يخرج مسرعا**) .

مشلينيا : (**فى بطء وجهد**) لا ... نفع ...

بريسكا : بل عش ... عش لى . لا تمت . إنى أحبك .

مشلينيا : الز ... من ...

بريسكا : الزمن ؟ لا شيء يفصلنى عنك : إن القلب أقوى من الزمن !

مشلينيا : أحلم ... آخر ... سعيد ...؟

بريسكا : بل حقيقة ... حقيقة خالدة يا مشلينيا ... أنا بريسكا . وليس يهمنى بعد أن أكون هى أو لا أكون : بل من يدرى لعلى هى ! إن الشبه بيننا ليس مصادفة ، ومقابلتنا ليست مصادفة كذلك ... مقابلتنا فى هذا الجيل ! إنك بعثت لى وبعثت أنا لك ... بعثاً من نوع آخر ... قم ... واحى ... وعش ...

مشلينيا : يا للسعا ... دة ...!

بريسكا : تجلد يا مشلينيا تجلد ...

مشلينيا : (**يجاهد**) نعم ... لست أريد ... لست أريد الموت ... رباه ! أنقذنى ... ها هى السعادة ... ها ... قد قهرنا ... الزمن ... القلب قهر ... (**تخونه قواه** ...)

بريسكا : (**وهى ترفع رأسه بين ذراعيها**) نعم ... نعم القلب قهر الزمن . انهض يا مشلينيا . إنى منذ حادثتك للمرة الأولى وكأنى أحبك منذ ثلثمائة عام وسوف أحبك إلى ألوف الأعوام ... قم بالله .. تجلد .. تجلد ... تجلد .!

مشلينيا : وا ... أسفاه ...

بريسكا : (**تحنو على وجهه وتنظر إليه**) فات الأوان ؟ تريد أن تبكى ولا تستطيع ؟ لا بأس ! فلتهدأ نفساً !... لم ينته بعد كل شىء ...

مشلينيا : بر ...يسكا ...

بريسكا : نم يا مشلينيا العزيز ... لن ينتهى كل شىء .

مشلينيا : إلى ... الملتقى ...

بريسكا : نعم إلى الملتقى ...

(تضع رأسه على الأرض فى رفق وتطرق باكية فى صمت) .

غالياس : (**يدخل مسرعا حاملا وعاء**) ها هو ذا وعاء من اللبن سرقته من أحد البنائين خارج الكهف ! (**بريسكا لا تجيب**) مولاتى ؟. (**بريسكا لا تتحرك ويلتفت المؤدب إلى الجثة**) رباه ! فات الوقت !

بريسكا : (**فى صوت باك لا يكاد يسمع**) نعم ...

غالياس : (**ينظر إليهما فى صمت لا يجرؤ على الكلام وأخيراً :**) مولاتى ! أتبكين ؟. (**بريسكا لا تجيب**) إنك جئت يا مولاتى على أنه ميت منذ أسابيع ...

بريسكا : ليتنى وجدته كذلك ...

غالياس : قضى الأمر ! ماذا يجدى إذن الآن الحزن والبكاء !

بريسكا : لست أبكى لنفسى يا غالياس ... أنت تعلم أنى لم أشأ المجىء إليه وهو على قيد الحياة ، وانتظرت عن قصد طول هذا الشهر ... ألم أقل لك محال أن يجمعنا الحب

في هذا العالم أو على الأقل فى هذا الجيل .؟

غالياس : إذن لم تبكين يا مولاتى ؟

بريسكا : آه ... يا غالياس ! لو أنك تحس وتفهم ...
يا للقسوة ! إنى أبكى تلك السعادة التى لمعت كالبرق لحظة ثم انطفأت ... وهذا المشهد المؤلم الساعة ... مشلينيا يجالد الموت ويتمسك بالحياة ويتشبث بها ... وفاضت روحه فى اللحظة التى ظفر فيها بالسعادة ، ولفظ النفس الأخير وهو يأمل فى الملتقى . نعم إلى الملتقى يا حبيبى مشلينيا ! هنا محال ... لكن فى جيل آخر حيث لا فاصل بيننا .

غالياس : فى جيل آخر ؟!

بريسكا : نعم ... أو فى عالم آخر ...

غالياس : صدقت ... صدقت يا مولاتى . إنى أعجب بإيمانك هذا ...

بريسكا : إياك وأن تشكّ ياغالياس ...

غالياس : حاشا ... يا مولاتى ! إنى مؤمن ... مؤمن ... غير

أن ...

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : غير أن إيمانك يبهرنى . إنكِ تتكلمين كالواثقة بحقيقة ما تقولين . بل كمن رأت وعاشت مرة فى ذلك العالم الآخر ! لا يا مولاتى ... إيمانك من نوع فوق طاقتى ... وفوق طاقة البشر فهمه ... ولعل صلتك بالقديس والقديسين ...

بريسكا : كلا . ليس هذا بالسبب أيها الأحمق .

غالياس : نعم ... أعرف ما تريدين ... ولكن ...

بريسكا : ولكنك لا تفهم ولا تحس ولا تصدق .

غالياس : أصدق يا مولاتى ... أصدق ... لكن ربما لا أفهم ولا أحس ...

بريسكا : وما النفع أيها المسكين ؟

غالياس : مولاتى ! ما هو الحب الذى يفعل هذه الأعاجيب ويحلق فوق الأجيال كما تحلق ...

بريسكا : كما تحلق الفراشة فوق الأزهار ...

غالياس : نعم ... نعم ... ما هو ؟!

بريسكا : هو ... هو ... أيها الشيخ الفانى ... ماذا أقول لك ؟ وكيف أخبرك به ؟

غالياس : يخيل إلىّ أنى قرأت شيئا عنه يا مولاتى ...

بريسكا : لو كنت قرأت على الأقل قصة أوراشيما كما قرأتها أنا منذ قليل ...

غالياس : قصة أوراشيما ؟ وماذا فيها غير ما أعرف .؟

بريسكا : إنك لا تعرف شيئا . ألا تذكر أنى سألتك أين كان أوراشيما مدى القرون الأربعة ، فلم تجب ؟ آه ... لو أنك قصصت علىَّ ذلك ... (**لحظة ثم تقول كأنها ترى أمامها ما تقص :**) هناك ... على ساحل يوشا يمتد البحر ؛ بحر أزرق ساكن فى يوم صيف ... وقد خرج الفتى الصياد أوراشيما بقاربه ورمى بشباكه وانتظر ... انتظر أكثر النهار فلم يظفر بصيد ... وعند الأصيل ، وقد حان وقت العودة ... عودة حزينة ولا ريب ... غير موفقة . إنى أراها ... أرى

كل ذلك الآن بخيالى ... نظر أوراشيما فألفى سلحفاة بحرية قد وقعت فى الشرك ، ففرح بها أى فرح ... ولكنه ذكر أن السلحفاة مقدسة عند ملك البحر ، وأن عمرها ألف عام ، ويقولون عشرة آلاف ، وأن قتلها لهذا حرام ، فخلصها الفتى فى رفق وأعادها إلى الماء بعد أن تلا صلاة رقيقة حارة للآلهة . ولم يصب شيئا بعدها ، واشتد الحر وعم الصمت والسكون البحر والهواء وكل شيء ، فأخذت أوراشيما سِنة من النوم ؛ فاضطجع تاركا القارب يسير الهوينا إلى غير قصد ... عند ذاك صعدت من البحر ، كما يصعد الحلم ، غادة جميلة ذات شعر أسود طويل يتدلى فوق أكتافها البيضاء ، وأخذت تقترب منزلقة على سطح الماء فى لطف النسيم حتى وقفت على رأس الفتى الناعس ... فانحنت عليه وأيقظته بلمسة خفيفة ثم قالت له : « لا تفزع ! إن أبى ملك البحر أرسلنى إليك أشكرك على طيب قلبك إذ أنت الآن

أعدت الحياة إلى سلحفاة . والآن تعال معى إلى قصر أبى فى الجزيرة التى لا يموت الصيف فيها أبدا . وإذا شئت فإنى أصير زوجتك ونعيش سعيدين طول الخلود ... » عجب أوراشيما مما سمع وبهره جمال بنت ملك البحر فأسلم نفسه لها ، فتناولت أحد المجذافين وتناول هو الآخر وجعلا يسيران فى صمت ، متجهين بالقارب جهة الجنوب حيث تلك الجزيرة التى لا يموت الصيف فيها أبداً ... وبلغاها أخيراً . فأبصر الفتى فيها ما لم تر عين ، من قصور مرصعة بجواهر البحر النادرة وكنوزه الباهرة ومن جمال عجيب يكتنفه فى كل مكان ... وأقيمت له مآدب وتلقى تحفاً غريبة وهدايا ثمينة من أهل مملكة البحر ... ثم أصبحت بنت ملك البحر زوجة له بعد أفراح دامت عاماً ... وغمرت أوراشيما سعادة لم يصح منها إلا بعد ثلاثة أعوام ... عندئذ تذكر أهله الذين تركهم فى بلدة بوشا منذ خرج للصيد ... فتوسل إلى امرأته أن

تدعه يذهب يوماً واحداً إلى وطنه يرى أهله ويعود إليها فلا يفارقها بعدئذ إلى الآبد ... فبكت امرأتـه فى صمت ثم قـالت لـه : « مـا دمت تريـد الذهـاب فافعل ... ولكنى أخشى ذهابك كثيراً لأنى أخاف أن لا يرى أحدنا الآخر بعد الآن ... ولكنى سأعطيك علبة صغيرة قد تعينك على العودة إلىّ إذا فعلت ما أوصيك به : لا تفتحها ... لا تفتحها مطلقـا ... مطلقا ... مهما يحدث من أمر لأنك إن فتحتها فلن تستطيع رؤيتى أبداً » فوعدها أوراشيما خيرا وودعها ثم ابتعد عنها ... وقد جعلت تتلاشى خلفه كالحلم تلك الجزيرة التى لا يموت الصيف فيها أبدا ... ووصل إلى بلده فإذا هو يرى عجبا : كل شىء قد تغير ! وعبثا حاول الاهتداء إلى بيت أهله ، وعبثا حاول تعرف وجه واحد من تلك الوجوه الغريبة التى صادفها فى الطريق تنظر إليه نظرات الدهشة والعجب ... ومر بشيخ مسن فسأله أوراشيما عن أسرته فبغت الشيخ

وبهت لحظة ثم صاح به : « من أين أتيت أيها الفتى حتى تجهل أسطورة أوراشيما ؟! إن أوراشيما خرج للصيد منذ أربعمائة عام فلم يرجع ، وإذا زرت المقابر وجدت تذكارا له من الحجر قد أكلته السنون » . عند ذاك اختلط على أوراشيما الأمر وظن أنه يرى حلما أو سرابا أو سحرا ... وطفق يسائل نفسه : « ما معنى هذا » ؟ وذكر العلبة الصغيرة التى معه وخطر له أن فيها ما قد يكشف له هذا السر الغامض ... سر الزمن ... سر رؤيته الأربعمائة عام ثلاثة أعوام ... لكنه تذكر قول زوجه بنت ملك البحر ووعده لها ، فأحجم قليلا . غير أن الشك عاد يعذبه وراح يذهب به كل مذهب حتى كاد يضل ويختبل . أترى فى العلبة سحرا ... أتراه مسحورا . أم هو إنسان فقد عقله ؟ وما هو هذا السحر الذى فى العلبة ؟ ما هيئته وما تركيبه ؟ وتناسى الوعد مع الأسف وفتح العلبة ...

غالياس : ماذا وجد ...؟

بريسكا : لا شيء . لم يجد بها سوى دخان أبيض بارد تصاعد فى بطء حتى ارتفع فى الجو كغمامة الصيف ثم اتجه نحو الجنوب فوق سطح البحر الصامت .

غالياس : هذا كل شيء ؟!

بريسكا : هذا كل شيء . وعندئذ أدرك أوراشيما أنه محا سعادته بيده . وأنه لن يستطيع إلى الأبد أن يعود إلى حبيبته بنت ملك البحر ...

غالياس : وبعد ؟

بريسكا : وبعد ... أحس لساعته أنه يتغير هو نفسه ... فإذا دمه يجرى باردا وإذا أسنانه تتساقط وإذا شعره يصير كالثلج بياضا وأعضاؤه ترتعد وجسده يتقلص وقوته تتلاشى ... وإذا هو فى لحظة يعود شيخاً هرماً يرزح تحت وقر أربعمائة عام ، وقد انبطح فى انتظار الموت على ساحل البحر الأزرق الصامت الذى لم يتغير ...

(صمت عميق)

غالياس : (**بعد تفكير**) هو الدخان الأبيض الذى بالعلبة إذن ما كان يحفظه من فعل الزمن !

بريسكا : نعم أيها البسيط !

غالياس : ولكننى يا مولاتى لم أر بعد فى هذه القصة كيف يحلق الحب فوق الزمن مثل الفراشة فوق الأزهار ؟

بريسكا : فات الأوان : لن ترى ذلك فى هذه الحياة ...

(**يسمع صوت ضجيج فى الخارج ودق طبول ونفخ أبواق**) .

بريسكا : اسمع يا غالياس ... اسمع !. إنهم آتون ...

غالياس : (**ينصت**) نعم ... هذا موكب الملك . مولاتى !... أخشى أن يدخل الملك الكهف مودعا قبل أن يأذن بالبدء فى سد الغار ...

بريسكا : فى هذه الحال ... ما العمل ؟

غالياس : (**يشير إلى تجاويف الكهف**) تختبئين يا مولاتى فى أحد هذه التجاويف .

بريسكا : نعم ... نعم ...

غالياس : ومع ذلك ... فلأذهب لاستقبال الملك حتى لا يرتاب فى غيبتى .

بريسكا : نعم ... اذهب ...

غالياس : وإذا دخل الملك فسأسبقه وستسمعين صوتى عاليا كى تنتبهى ...

(يخرج مسرعا بينما تقترب أصوات الأبواق والضجيج) .

بريسكا : (**وحدها فتنحنى على مشلينيا**) ... مشلينيا ! إنك لم تنكث وعداً ... ولم تفتح علبة محرمة ... ولم يتغلب الشك يوما على حبك فيبدده دخانا طائراً ، فهل يستحق مثلك الفراق الأبدى عمن يحب .!

(تصمت وتطرق ... إلى أن يدنو الضجيج من الباب) .

غالياس : (**يصيح بالباب**) ها هنا يرقد القديسون أيها الملك !

(بريسكا تنهض بسرعة وتختبىء ... ثم يدخل الملك وغالياس والصياد ورهبان وجند وحاشية) .

الملك : (**يتراجع قليلا أمام الجثث ويرسم على صدره علامة الصليب ويلتفت إلى راهب كبير**) أيها الراهب !

الراهب : (**يتقدم**) مولاى !

الملك : ألا ترى أن تضع أجسادهم المقدسة فى توابيت ثمينه ؟

الراهب : كلا يا مولاى . فلنتركهم كما هم حتى يكون هناك فرق بين أولياء الله الصاعدين إلى السماء وبين البشر الماكثين فى الأرض . إنهم ليسوا فى حاجة إلى التوابيت فهم عما قليل يصعدون ...

الملك : وهل من الحكمة أن نتركهم هكذا ؟

الراهب : ما دمنا سنسد عليهم الكهف فهم فى شبه قبر محكم .

الصياد : (**يتقدم**) مولاى ! أيأذن لى مولاى ؟...

الملك : تكلم أيها الصياد !...

الصياد : لا ينبغى أن نسد الكهف عليهم .

الملك : لماذا ؟

الصياد : إنهم لم يموتوا يا مولاى ...

الملك : ماذا تقول ؟

الصياد : إنهم نائمون نوما عميقا كما فى المرة الأولى ... وسوف يستيقظون بعد أعوام .

راهب آخر : (**يتقدم**) نعم يا مولاى ! إنهم نائمون وسوف يستيقظون .

الصياد : فإذا سددنا عليهم فكيف يخرجون يا مولاى كما خرجوا فى المرة الأولى ؟

الملك : عجبا ! أنائمون هم الآن ؟!

الراهب (**الأول**) : كلا ... أيها الملك ... بل هم ميتون حقيقة وسيصعدون إلى السماء ...

غالياس : نعم يا مولاى ... لقد ماتوا حقا وسيصعدون إلى السماء .

الملك : عجبا ...! أيكم أصدق إذن ؟!

الصياد : مولاى ! ليكن أى الرأيين ... على كل حال لا لزوم لسدّ الغار حيطة للمستقبل ...

غالياس : كيف ؟ أوَ نتركهم هكذا لعبث العابثين وقد عرف الجميع مكانهم ؟

الملك : وإذا استيقظوا حقا يا غالياس ووجدوا البنــاء عليهم !...

غالياس : عندئذ يا مولاى ... عندئـذ ... مولاى ! لقد خطرت لى فكرة !

الملك : ما هى ؟

غالياس : نترك لهم معاول داخل الكهف ... هنا ... بجوار المدخل ثم نسده . فإذا ما بعثوا وأرادوا الخروج ووجدوا البناء عليهم ضربوا ضربتين بالمعاول فينفتح ...

الملك : لا بأس بالفكرة !.

غالياس : هاتوا ثلاثة معاول ... أسرعوا (**يخرج أحد الأتباع سريعا ويأتى بالمعاول**) ضعوها هنا بجوار المدخل ...

الملك : (**يشير إلى رجال الدين**) الآن تقدموا أيها الرهبان ... وقوموا بشعائركم ورسومكم وداعا للقديسين ... وبعدئذ فلنخرج ولتدق الطبول ، وينفخ فى الأبواق إيذانا بسد القبر المقدس ...

يا غالياس ... وأنت يا غالياس ... أعلن إلى الشعب أن الأميرة قد منعها المرض عن توديع القديسين ...

(**الرهبان وخلفهم الملك والحاشية يقومون بالشعائر والتراتيل ثم يخرج بعد ذلك الجميع ، بريسكا تظهر بعد خلو المكان**) .

غالياس : (**يعود مسرعا فى حذر**) لقد غافلتهم وجئت إليك ، الوقت ضيق ... وعما قليل تدق الطبول وينفخ فى الأبواق لسد المدخل فأخبرينى يا مولاتى على عجل بما تأمرين .؟.

بريسكا : لا شىء بعد ذلك يا غالياس ... إنى أشكرك ... اذهب ...

غالياس : ألم أنفذ كل ما أمرت به يا مولاتى ؟...

بريسكا : إنى أعرف إخلاصك وطيب قلبك دائما . اغفر لى يا غالياس إذا نالك بسببى ضرر من أبى . أنت قلت إنك مستعد للموت من أجلى . وقد يسألك الملك عنى وقد يتهمك بمطاوعتى ... وقد يحاكمك ويقتلك ...

غالياس : لا يهمنى هذا يا مولاتى . إن حياتى الباقية هى لكِ وفى خدمتكِ دائماً ... لكن ...

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : إنى أخشى تعذيب ضميرى أكثر من تعذيب الملك. ويشهد الله كم توسلتُ إليكِ وكم حاولتُ صرفكِ عن عزمك ... وكم أردتُ إقناعك ...

بريسكا : لا تخف يا غالياس ! ذمتك بريئة . هـذا يجب أن يكون ... هذا قدر !!

غالياس : نعـم ... وإنك حلـمت ذات مـرة أنك ستدفـنين حية ...

بريسكا : صدق الحلم ...

غالياس : كما صدق العرَّاف . إنك قديسة يا مولاتى ! نعم إنك قـديسة بين القـديسين ... وهـذا مـا يعزينـى ... (**يسمع دق الطبول**) دقت الطبول ... يجب أن أخرج ... الوداع يا مولاتى ! الوداع ! لو لم تكلفينى بمهمـة تهدئـة الملك التـاكل وتعزيتـه وإقناعـه لمتُّ مـعك

هنا ...

بريسكا : ومهمة أخرى يا غالياس . إذا علّمتَ الناس قصتى وتاريخى فاذكر لهم كما أوصيتك ...

غالياس : (**وهو يهم بالخروج**) أنك قديسة ...

بريسكا : كلا ... كلا ... أيها الأحمق الطيب . ليس هذا ما أوصيتك ...

غالياس : أنك امرأة أحبت ...

بريسكا : نعم ... وكفى .

(يخرج غالياس وتبقى وحدها ويغلق الكهف عليها وعلى الموتى)

(انتهى)

بعض ما نشــر عــن

كتاب «**أهل الكهف**»

كتبت أهل الكهف سنة ١٩٢٩
ونشرت لأول مرة سنــة ١٩٣٣

بالعربية :

أول مقال نشر عن كتاب « أهل الكهف »

لفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر (الأسبق)

كنت ذات يوم أسير فى بعض شوارع القاهرة ، فلمحت فى وجه دكان من دكاكين الوراقين كتاباً أنيقاً ، فى جمال شكله بساطة تدل على ذوق وفهم .

توفيق الحكيم ــ أهل الكهف ــ مطبعة مصر سنة ١٩٣٣

هذا كل ما كتب بظاهر الكتاب أما « توفيق الحكيم » فمؤلف لم تتداول اسمه الجرائد ، ولا تناقلت المجلات صورته . وقد يكون أفندياً أصيلاً ، وقد يكون شيخاً معمماً أو مطربشاً . ففى الشيوخ أفندية أيضاً .

و« أهل الكهف » نسمع قصصهم من قارئ السورة فى المسجد يوم الجمعة ، ويجرى ذكرهم على ألسن الناس مثلاً

مضروباً لمن ينام نوماً طويلاً . فهل الأمر تفسير لسورة الكهف ؟ أو هو بحث فى قصة أهل الكهف وكيف تناقلتها الأجيال وتجاذبتها الأساطير والأخبار ؟.. مرت كل تلك المعانى بخاطرى . ولما كنت غير مولع بتفاسير المحدثين ، ولا مغرم بتحقيق الأقاصيص القديمة وأصولها ، فقد مضيت مكتفيا بمتعة النظر .

وما هو إلا أن عدت إلى دارى حتى أقبل صديق يحسل إلىّ هذا الكتاب الذى كان يستوقف نظرى منذ قريب . وإذا صاحب الكتاب ليس شيخاً ولا معمماً بل هو أفندى من خيار الأفندية .

ولما شرعت فى مطالعة الكتاب أحسست بأن جمال معناه لا يقل عن جمال صورته .

رواية تقوم على قصة أصحاب الكهف . وقد درس مؤلفها القصة درساً محيطاً ، ثم أسلم جوهرها إلى خيال موفق وفكر مستقيم وذوق سليم . فصور من كل أولئك موضوعاً روائياً طريفاً كساه الأسلوب السهل الفصيح حلة رائعة .

فى رواية أهل الكهف أشخاص تستشف من حوارهم طبائع نفوسهم وخبايا ضمائرهم وأسرار خلائقهم . وفى أهل الكهف

ما يريك الدين إيماناً يملأ الصدر ، وما يريكه موهنا تلينه عواطف اليأس وتدافعه زينة الحياة وشهواتها . وفى الرواية تحليل للعواطف فى هدأتها وتحليل للعواطف فى ثورتها . وفى أسلوبها أحياناً ثوب من السخرية يرمى فى لطف إلى مرمى بعيد .

وفيها حب — إذا كان لا بد للناس من حب ، وإن لبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً .

كان مشلينيا الوزير يحب بريسكا متبناة دقيانوس قبل أن يرقد فى الكهف قرونا .

فلما أحياه الله وذهب إلى قصر الملك وجد بريسكا أخرى هى بنت صاحب القصر فحسبها حبيبته . وأمر مشلينيا وبريسكا من أقوى حوادث الرواية وأروعها وأدلها على مهارة الكاتب فى تصوير مواقف الحب تصويراً يكشف بعض المعانى كشفاً صريحاً بليغاً ، ويومئ إلى بعض المعانى إيماءا رقيقاً بليغاً . يذهب هذا الحب القوى الشقى إلى اسمى مراتب الحب وينتهى إلى أنبل نهاياته من الجود بالنفس فى سبيله عن سكينة ورضا .

وقصة أهل الكهف من خير ما عرف القصص العربى وليست

تحتاج إلى عناء لتكون رواية تمثيلية قلما ظفر بمثلها المسرح المصرى .

وإذا كان هذا الأثر باكورة الثمرات بقلم الأستاذ / توفيق الحكيم ، فهى نفحة النبوغ تتفتق أكمامه عن زهره . وإن كان للأستاذ آثار من قبلها فهذه آية نضجه واكتمال مواهبه .

والمؤلف الذى يفر من مجد إحسانه ، بما فى طبعه من حياء النبل والتواضع جدير بأن يحفز فى سبيل المجد والإحسان من كل معنىٍّ بنهضة الأدب .

بيد أن العبقرية تشق سبيلها إلى الكمال والنجاح على كل حال .

مصطفى عبد الرازق

السياسة الأسبوعية

ملحق العدد ٣١٠٧ — ٨ مايو ١٩٣٣

الفرنسية :

مقدمة الطبعة الفرنسية

جاء فى المقدمة الفرنسية التى كتبها « جاستون فييت » مدير متحف الفن العربى والأستاذ بالكوليج دى فرانس باريس تصديراً للترجمة الفرنسية لكتاب « أهل الكهف » فى طبعتها الأولى عام ١٩٤٠ ما خلاصته :

« إن النص القرآنى » هو الوثيقة الوحيدة المؤكدة فى الإسلام ، وهو يشير إلى أن بعض الفتية ومعهم كلبهم قد لجأوا إلى كهف هرباً من الاضطهاد . وفيه لبثوا ثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً ، غارقين فى سبات عميق ، ثم أفاقوا (بعثوا) ... وقد اختلفت التفاسير حول معنى « الرقيم » . فطبقاً لبعض الروايات قيل إن « الرقيم » هى الكتابة التى وضعت على باب الكهف أو نحتت على الجبل . ولكن الأغلب أن « الرقيم » اسم مكان ،

والظاهر أن عديداً من الأماكن فى آسيا الصغرى والشام قد تنازعت شرف نسبة هذا الكهف المشهور وأهله النائمين فيه إلى هذه الأماكن .. ولكن توفيق الحكيم قد اختار من بين هذه الأماكن « طرس » أو « طرسوس » الحالية ... كما اختار من النائمين ثلاثة : هم « مكسمليان » و « ماكلس » و « مارتنيان » بالأسماء التى وردت فى بعض الكتب العربية القديمة ، التى جعلت من « مكسمليان » ، « مشلينيا » ومن « ماكلس » « يمليخا » . ومن « مارتينيا » « مرنوش » وربما كان للكتابة العربية ولحركة « النقط والتنقيط » وتغيراته وتنقلاته ما ساعد على تحريف الأسماء .. أما اسم الكلب « قطمير » فقد بقى على حاله لم يتغير فى كل النصوص العربية ... وهكذا صاغ توفيق الحكيم بموهبته المعروفة حول هذا الموضوع هذا العمل الأدبى ...

بالألمانية :

من دراسة طويلة منشورة فى مجلة « فكر وفن » الألمانية لناجى نجيب العدد ٤٠ العام ٢٠ ، ١٩٨٤ ميونيخ ، ألمانيا الغربيـة بعنوان :

« أهل الكهف »
ونشأة الأدب المسرحى العربى (المقروء)

حين نشر توفيـق الحكيم عـام ١٩٣٣ مسرحيتـه « أهــل الكهف » (وكان قد كتبها قبل ذلك عام ١٩٢٩) استقبلها أعلام الأدباء والكتاب كحدث كبير ، فيها كما يذهب طه حسين فى مقال له فى « مجلة الرسالة » (أواخر مايو ١٩٣٣) نشأ فن وفتح باب جديد فى الأدب العربى ... — ويمكن أن يقال إنها رفعت من شأن الأدب العربى وأتاحت له أن يثبت لـلآداب الأجنبية الحديثة والقديمة ... بل ويكمن أن يقال إن الذين يحبون

الأدب الخالص من نقاد أجانب يستطيعون أن يقرأوها إن ترجمت لهم ... » فهى « مزاج معتدل » من الروح المصرى العذب والروح الأوربى القوى » ...

بمسرحية « أهل الكهف » دخل الأدب الدرامى دائرة الوعى العام كفرع من فروع الأدب العربى الرسمى ، وقد ارتفع إلى هذه المرتبة بعيداً عن خشبة المسرح .

ويلخص الحكيم الأصداء التى أثارتها « أهل الكهف » بين معاصريه (الشيخ مصطفى عبد الرازق والعقاد والمازنى ...) والاحتفاء الكبير الذى قوبلت به فيقول : « الذى استقر فى ضمائر أهل الأدب يومئذ أن شيئا ما ، على أساس ما ، وضع ، ولم يشذّ أحد من الأدباء عن اعتبار العمل لوناً من الأدب العربى ، مثّل أو لم يمثّل ! » (مقدمة « الملك أوديب » ١٩٤٩) .

وبوجه عام فقد استقبل الشباب المثقف فى الثلاثينيات أعمال الحكيم القصصية والدرامية بحماس كبير باعتبارها فنوناً أدبية مستحدثة لم يعرفها الأدب العربى من قبل . ويعبّر بهاء طاهر (من مواليد عام ١٩٣٥) عن موقف الجيل التالى من « أهل الكهف »

ومسرحيات الحكيم الذهنية إذ يقول : « كانت (أهل الكهف) و (شهر زاد) مدخل جيل بأكمله إلى الفن الدرامى — جيل عرف الدراما عن طريق القراءة قبل أن يعرفها على خشبة المسرح . ففى الأربعينات وأوائل الخمسينات لم يكن للحياة المسرحية وجود حقيقى . وكانت هذه القطع الأدبية الجميلة تلهب خيالنا باعتبارها نماذج سامية لفن مفقود . وحين كان يثار الجدل فى ذلك الوقت عن مسرح توفيق الحكيم وعن المسرح الذهنى الذى كان يُقرأ ولا يمثَل ، لم نكن نفهم المشكلة بالضبط . فقد كنا نجد فى (أهل الكهف) و (شهر زاد) ما نجده فى سائر المسرحيات العالمية التى أتيح لنا أن نقرأها من حوار رائع وفكر جليل » (« ألغاز شهر زاد » فى « الكاتب » ١٩٦٦ / العدد ٦٩ ، ١٢٠) .

وبمعنى مشابه يقول ألفريد فرج (من مواليد عام ١٩٢٩) : « إن مسرحيات الحكيم هى التى ألهمت فنانى ومثقفى جيلنا حب هذا الفن ... اقترن أول لقاء بين جيلنا والمسرح بالدهشة والحب أمام « أهل الكهف » و « شهر زاد » و « الخروج من

الجنـة » ... » (« دليـل المتفـرج الذكـى إلى المسرح » ، ١٩٦٦) .

ويقول ناجي نجيب : إن هناك خلفية تاريخية واضحة لذلك الاستيعاب نلمسها فى العديد من المصادر وفى مقدمتها الإحساس العام بضآلة الثقافة المصرية وضعفها .

هناك شكوى فى هذه الفترة (فى العشرينات والثلاثينات) وهى نقص الغذاء الفكرى فى الحياة المصرية » وأنه لا سبيل إلى تلمس هذا النوع من « الغذاء » فى الإنتـاج المصرى . وكان المثقف إذ ذاك مزيجاً من الأمل ومن مشاعر السأم والملل . والأمر أعمَّ وأشمل ، وما الثقافة سوى مظهر واحد من مظاهر الضعف أو القصور .

ويحمل أحمد أمين فى مقال بعنوان « بين اليأس والرجاء » (« الرسالة » ، ١٩٣٣ ، العدد ١٦) أبعاد القضية ، فيشير إلى أن روح التشاؤم والشك قد شملت أبواب الثقافة والاجتماع والسياسة ، وأن هذا الطعن فى « حياة الشرق » قد زاد الطين بلة : « فدعاة اللغة والأدب » يلحون أن « الأدب الأجنبى أدب

الثقافة والفن والعلم ، ولا شيء من ذلك فى الأدب العربى ، وأنّ من شاء أن يفتح عينيه فليفتحهما على أدب أجنبى ولغة أجنبية، وإلا ظل أعمى ... »

وبإيجاز فحاجة المثقفين فى هذه الفترة إلى « الغذاء الفكرى والروحى » كبيرة ، وبالمثل حاجتهم إلى إثبات الشخصية الذاتية لمعادلة ما يحسّونه من نقص وضعف ، وأيضاً للتعويض عن الواقع السّيء . هناك حاجة ملحة « للمعنويات » لتخطّى حقائق الواقع و « ماديات » الحياة من حولهم . هذا هو التناقض الذى نشأت من خلاله « أهل الكهف » ومسرحيات الحكيم الذهنية « شهر زاد » و « بجماليون » و « أوديب » . ويشرح الحكيم فى إحدى مقالاته فى الثلاثينات بروز فكرة الشخصية الذاتية وارتباطها بمفاهيم « الثقافة » و « الفن » عند جيل الرواد ، وعلى وجه الخصوص بمفاهيم « الإبداع » و « الخلق » و « البحث عن الأسلوب » . وهى مفاهيم جديدة ذات معان مستحدثة ...

ليس غريباً مع هذا التعطش إلى « الثقافة » وإلى « الغذاء الفكرى » و « المعنويات » أن يكون الطريق إلى تأهيل الفن

الدرامى للقبول فى حديقة الأدب العربى هو الفكر ، وليس من خلال المسرح وفن التمثيل بمقدار اكتشافهم لعالم الفكر والفن الغربى ، وما يحويه من ثراء ذهنى وروحى ، تطلّعوا بعين الخيال إلى آفاق العالمية وقضايا الإنسان « فى أفكاره الثابتة فى كل زمان » (بتعبير الحكيم) ، وتطلعوا إلى « الخلق » و « الإبداع » ، والمشاركة فى سماء الحضارة الرفيعة » . وهذه جميعاً من مفردات هذا الجيل (جيل « الحنين الحضارى ») ، وينعكس هذا بوضوح على تعليق طه حسين على « أهل الكهف » ، وعلى المنظور الذى استوعب منه المثقفون وكبار الأدباء هذا العمل الأدبى . فطه حسين فى تعليقه السابق لا يتوقف لحظة ليناقش محتوى « أهل الكهف » ، وإنما يقيمها فحسب من مضمون ما حققته للأدب العربى إزاء الآداب الأخرى أو إزاء أدب الغرب . وعلى نحو مشابه استوعبها الجيل التالى الذى عبّر عنه بهاء طاهر (ومن هذا المنظور استوعب البعض أيضاً « عودة الروح ») .

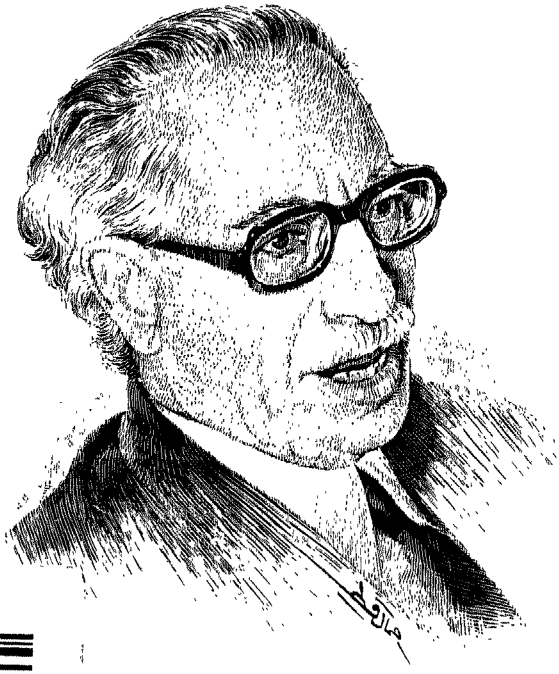
وهكذا دخل النص الدرامى حديقة الأدب العربى الحديث من خلال مسرح الفكر ، أى كفن من فنون القول لا التمثيل .

ويوضح الحكيم فى «سجن العمر » كيف استوعبت البيئة الأدبية مسرحه الفكرى دون صعوبات : « فالبيئة الأدبية فى بلادنا كانت فعلاً مستعدة لتقبله فى حين أن البيئة المسرحية كانت لا تزال فى واد آخر ... وخاصة بعد عودتى من الخارج ... فقد اختفت حتى المترجمات الحميدة ، وخضع المسرح وقتئذ إلى تيارين اثنين : التيار الإضحاكى والتيار الإبكائى ، وكان لا بد إذن من تيّار ثالث هو التيار الثقافى ... » .

وبديهى أن الترجمة والتعريب — على ما لهما من تأثير — لا يكفيان لترسيخ فن مفقود ، والأغلب أن تظل روائع الأدب المسرحي المترجمة بعيدة عن آفاق الجمهور فى غياب النصوص الأدبية العربية الدرامية المماثلة . ومن هنا كان الدور الذى أدته مسرحيات الحكيم الذهنية . وبهذه الأعمال الأدبية الأولى اشتهر الحكيم وانضم بها إلى أعلام الأدب وقتذاك (خليل مطران وطه حسين والعقاد والمازنى والزيات ...) كانت شيئاً جديداً ، عبر عنه « أستاذ الجيل » لطفى السيد فى أول لقاء له مع الحكيم بعد نشر «أهل الكهف» و « شهر زاد » بقوله : «أنت شيخ طريقة»!.

* * *

رقم الإيداع ٢٩١٩ / ٨٨
الترقيم الدولى ٦ ــ ٠٣٨٠ ــ ١١ ــ ٩٧٧



Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0293804

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٤٥٠ قرشا